

أتالا

ATALA

أو

الحب والجهل والدين

في ظلمات اميركا الاولى

هي أجمل وأشهر رواية فرنسوية أنشئت بشأن اميركا وقد اشتهرت في عالم الادب بمجالها
وآدابها اشتهار الميزرابل وبولس وفرجينى والكوخ الهندي وغيرها من نفائس الروايات .
ومزيتها للقراء في اميركا وغير اميركا انها تصف القفار الاميركية وطبيعتها الجميلة وقبائل
هنودها وعاداتهم واخلاقهم واديانهم وتأثير المبادئ الدينية الساذجة الصادقة في
البشر بأسلوب روائي رائع وغزل رقيق وغرام بانغ منتهى الشغف

تأليف

الفيكونت شاتوبريان

من مشاهير كتّاب فرنسا

تعريب

فرح انطون

صاحب «الجامعة»

نيويورك ١ (يناير) كانون الثاني سنة ١٩٠٨

تمهيد للمعرب

كان بعض اخواننا الادباء في هذه البلاد يسألوننا حيناً بعد حين (متي تضعون لنا رواية كبولس وفرجينى والكوخ الهندي واورشليم الجديدة) . فلما شرعنا في نشر رواية (مريم قبل التوبة) في ذيل المجلة ارتاحوا اليها وتركوا ذلك الطلب . اما نحن فلم ننسّه وعقدنا النية منذ ذلك الحين على ابراز رواية اخرى لقراء الجامعة . تعدّ في عالم الادب قرينة لرواية بولس وفرجينى والكوخ الهندي بل تفضلهما من وجوه كما ان هاتين الروايتين تفضلانها من وجوه اخرى . وهذه الرواية هي (اتالا) لمؤلفها الفيكونت شاتو بريان احد مشاهير فرنسا (١)

اغراض هذه الرواية

كتب شاتو بريان روايته هذه في احد اكواخ هنود اميركا في ولاية مسيسيبي (الولايات المتحدة) . واهم اغراضها وصف عيش الانسان الطبيعي الساذج في حالتي التوحش والمدنية . وتصوير حياة (الشعب الصياد) التي هي فاتحة المعيشة البشرية . وحياة (الشعب الزارع) التي هي درجة ارقى في سلم تلك المعيشة . وبيان ان الدين — كما صورّه المؤلف وليس كما يصوّره جاهلوه — هو أول الشرائع التي ترفع البشر من دركة الهمجية الى درجة المدنية . وان التحمس

(١) اتالا هي ثانية رواية لشاتو بريان ترجمت الى اللغة العربية والرواية الاولى هي رواية « ابن سراج » وقد ترجمها سعادة الامير شكيب ارسلان

الديني مخالف لروح الانجيل وكله خطر وضرر اذا لم يكن مقروناً بالعقل والروية .
واظهار تنازع الالهواء والشهوات والفضائل في قلب ساذج . وغلبة الفضيلة
الدينية في الحاقمة على العاطفة التي هي أشد العواطف والكريمة التي هي أشد
الكرائه ونعني بهما (الحب والموت)

وقد كان ﴿ لاتالا ﴾ حين ظهورها دوي شديد في اوروبا واهيركا فترجمت
الى اللغات الاوروبية وأصبحت تعد في جملة الكتب النفيسة الخالدة . قال
المسيو دي فونتان بعد ظهور رواية ﴿ اتالا ﴾ وكتاب (روح المسيحية) للمؤلف
نفسه ، ان هذين الكتابين سيخلدان اسم مؤلفهما لدى الاجيال التالية
ويكونان شرفاً لاوائل القرن التاسع عشر لظهورهما فيه “

مقابلة بين عصر اتالا وهذا العصر

ومما لا شك فيه ان العصر الذي كتب فيه شاتو بريان روايته وكتابه
يختلف عن عصرنا هذا الذي سادت فيه (الفلسفة الوضعية) و (المبادئ الوضعية)
Positivisme فان عصر شاتو بريان كان قد شهد حملة الانسيكلاويديين على الدين
وقيام دعاة الثورة الفرنسية ينقضون اساس الهيئة الاجتماعية القديمة . ولما فرغوا من هذا
النقض وجدوا انهم استطاعوا الهدم في عالمي الدين والاجتماع وقدروا على وضع شيء
اجتماعي جديد في موضع الشيء الاجتماعي المهدوم ولكنهم عجزوا عن وضع شيء ديني
جديد في موضع الشيء الديني المهدوم . فتشتت الافكار وانتقض النظام وأدى الافراط
في الحرية الى الفوضى الفكرية . فبناءً على هذه الاسباب كانت الافكار مهيئة
لرد الفعل . فلما ظهرت (اتالا) و (روح المسيحية) حدث رد الفعل وسمت منزلة الدين
في فرنسا بعد انحطاطها . ولذلك قالوا ان هذين الكتابين كانا أشد فعلاً في اعادة افكار
كثيرين من الفرنسيين في ذلك العصر الى الدين من جميع الكنائس والرهبان والمرسلين
اما عصرنا هذا فانه وأسفاه قد تفاتت من قيوده الجميلة القديمة منذ وضع
اوغوست كونت اساس الفلسفة الوضعية المتسلطة الآن على افكار البشرية في
الكرة الارضية والتي يقول اهلها ان الانسانية زاحفة اليها بجملها ورجلها وان كل

صرخات القلب الديني وجماله وسذاجته لا ترددها عنها . وإنما فائدة (اتالا) من هذا الوجه في هذا العصر إظهار كنه الدين وحقيقة وظيفة رجاله . فكل قارئ يقرأ فعال الأب اوبزه في هذه الرواية واقواله لا يتألك من مقابلة حياته بحياة زملائه الذين يعاصروننا فيتمنى لو أمكن كل واحد منهم ان ينسج على منواله اما باقي فوائد (اتالا) ومحاسنها فترك الكلام عنها الى سنت بوف سلطان النقد في عصره وفي كل عصر واليك شهادته في اتالا بعد ظهورها

شهادة سنت بوف

في اتالا

وهو سلطان النقد في عصره وفي كل عصر

قال في نقده هذه الرواية

لا اسمي هذه الرواية رواية . بل اسميها (قصيدة غزلية) نصفها وصفي ونصفها دراماتيكي جاوز فيها المؤلف حدود المتقدمين حتى حدود (بولس وفرجينى) . وغرضه فيها ان يرسم صورة احتكاك الهوى في قلبين احدهما ذو طبيعة متمدنة والاخر ذو طبيعة متوحشة التقيا في قعر سبب لم يصفه احد قبل المؤلف . وفوق ذلك فانه قصد الى مقابلة هذا (الهوى) في الحائمة بالسكينة الدينية وتصوير (الدين) تصويراً يجوز ان يُعد اكتشافاً جديداً له . وان قريحة المؤلف في هذا الكتاب لتستولي على القارئ بعظمتها وجمالها وجديدهزعتها وتوثر في اعماق نفسه تأثيراً يجعل النصر لها . اقرأ تلك الرواية المعبودة (بولس وفرجينى) ثم اقرأ بعدها (اتالا) فانك بعد قراءتها لتشعر بانك جذبت اليها بالرغم منك وطارت نفسك اليها شعاعاً . ولا تسئل هل النور الالهي الذي تراه امامك قد مرَّ على لسان بطلها (شككتاس) أم على قلم المؤلف فان الامر الهام هو انه قد مرَّ امامك . وعاصفة الهوى القلبي التي تعصف فيها امامك تثير في نفسك الاشجان

السرية وتشعرك بذلك السم الذي يتسرب الى نفسك تسرب الحلم فلا تستطيع الافلات منه بعد معرفته . فتروح وانت تحمل السهم المسموم الذي رُميت به من ذلك القفر السحيق

وقد كتب المسيو جوبر عن (أتالا) فقال (في اصبع الساحر سحر خاص بذلك الصانع . فأني شيء مسه هذا الصانع امدّه بذلك السحر فادهش به النفوس . وهكذا شاتو بريان . فلا تخافي عليه ان لا تنجح روايته (أتالا) فانها ستجح دون شك لانه (الكاتب الساحر) “ (١)

﴿ ترجمة أتالا ﴾

بقي ان نقول كلمة في ترجمة أتالا

قال الشاعر

لا يعرف الشوق الا من يكابده ولا الصبابة الا من يعانها

ونحن نقول لا يعرف صعوبات الكتابة الا من يعاني تعريب رواية كرواية أتالا . فان سبك معانيها بقلب عربي يليق بها . وأدوية المراد منها تماماً . والايجاز مع حفظ سلسلة اغراضها ومغازيها الادبية والغرامية . وضبط اخلاق اشخاصها ضبطاً يصون الصورة التي رسمها لهم المؤلف ويجعلها جميعاً متلائمة مطابقة اصول البسيخولوجيا . ووضع الاستعارات والتشايه الاوروبية والاميركية والهندية في لفظ عربي ومعنى عربي — ان كل هذا لما يتحطم له قلم الكاتب ودماغه ويسيل العرق من جسمه حتى في مثل هذه الايام ايام الزمهرير . . . وكثيراً ما اقنا يومين كاملين على ترجمة ثمانين صفحات من أتالا لصعوبة ضبط افكار المؤلف . وما

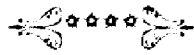
(١) « المعرب » من كتاب للمسيو جوبر الى مدام دي يومون وكانت قبل ظهور

(أتالا) تخشى انها لا تروق الجمهور الفرنسي لانها تصف بلاداً اميركية بعيدة .

هذه باول مرة علمنا بها ان الترجمة اصعب من التأليف عند من يريد مراعاة الاصل
بدقة وضبط وابرار مادة راقية مثله
فعمى ان جهدنا في رواية (أقالا) 'يرضي قراءنا فتجى' حسبما يشتهون ويليق
بهذه الرواية الجميلة

(فرح انطون)
صاحب الجامعة

نيو يورك « الولايات المتحدة »
اكانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٨



مؤلفات (فرح انطون) صاحب الجامعة

✽ ابن رشد وفلسفته ✽ وفيه ترجمة فيلسوف الاسلام العظيم ابن رشد وتاريخ نفيه لاشتغاله بالفلسفة وتاريخ فلسفته في اوربا وعند اليهود ورسمه ورسم قرطبة مدينة الفلسفة ووردود المفتي محمد عبده على الجامعة ووردود الجامعة عليه . ثمنه ريال ورربع وعدد صفحاته ٢٢٨ صفحة

✽ اورشليم الجديدة - افتح العرب بيت المقدس ✽ هي رواية غرامية تاريخية فلسفية اجتماعية فكاهية فيها تاريخ فتح العرب بيت المقدس وتاريخ سلطنة بنونية القسطنطينية) وابواب ضعفها وسقوطها وتكمل ذلك مباحثات سياسية ودينية واجتماعية في احوال الامم الثلاث اليهود والمسيحيين والمسلمين . ثمن الكتاب ريال ورربع وعدد صفحاته نحو ٢٠٠ صفحة ✽ الوحش الوحش الوحش - اوسياحة في ارض لبنان ✽ رواية اجتماعية فلسفية ادبية فكاهية موضوعها سياحة في ارض لبنان وفيها وصف الارض الذي يتقاطر الناس لمشاهدته من اميركا واوربا ورسمه وتدخلها قصة فكاهية ادبية ورد فيها كثير من وصف عادات لبنان . ثمنها نصف ريال

✽ تاريخ المسيح ✽ معرب عن الفيلسوف رنان تعريفاً مختصراً يزيل منه كل ما لا يجب نشره وفيه مقدمة طويلة لساحب الجامعة . ثمنه ريال ✽ الدين والعلم والمال ✽ فيه بحث فلسفي في المسألة الاجتماعية باسلوب رواية وذكر ما بين الدين والعلم والمال من التنازع ثمنه نصف ريال ✽ الكوخ الهندي ✽ رواية فلسفية مزينة برسوم موضوعها ابن نجد الحقيقة وكيف شجدها وفيها وصف بلاد الهند وبراهمتها . ثمنه نصف ريال

✽ بولس وفيرجينى ✽ رواية طبيعية ادبية فلسفية حبيبة مزينة برسوم عديدة موضوعها ابن نجد السعادة الحقيقية وهي اشهر رواية في القرن الثامن عشر . ثمنها نصف ريال ✽ رواية ابن الشعب ✽ هي رواية سياسية اجتماعية يمثلها جوق الشيخ سلامه في مصر وقد لخصناها في الجامعة

✽ نهضة الاسد ✽ هي اربعة اجزاء في اسلوب رواية سياسية غرامية تبحث في تاريخ الثورة الفرنسية واعمال اعظم رجالها

✽ البرج الهائل ✽ هي رواية سياسية غرامية يمثلها جوق الشيخ سلامه في مصر وتمثل ما كان في فرنسا في عهد الملكية من انطام

✽ مريم قبل التوبة ✽ تحت التأليف وهي تنشر في مجلة الجامعة تباعاً

تمهيد للمؤلف

يصف فيه الطبيعة في الولايات المتحدة قبل مدينتها والاماكن التي وقعت فيها حوادث روايته . وقد كتب وصفه هذا في اواخر القرن الثامن عشر لانه فر من فرنسا الى اميركا وساح فيها بعد حوادث الثورة الفرنسية تحاصفا من اضطهاد الغلاة في الجمهورية للنبلاء لان عيلته كانت منهم

كان لفرنسا في الزمن القديم في اميركا الشمالية سلطنة واسعة تمتد من ليرادور الى فلوريدا ومن شواطئ الاوقيانوس الاطلنטיكي الى اقصى بحيرات كندا العليا . وكانت تسقي هذه السلطنة الواسعة اربعة انهر وهي نهر سان لوران الذي يصب في خليج مسمى باسمه في جهة الشرق . والنهر الغربي الذي تجري مياهه الى البحر مبهولة (١) ونهر بوربون الذي ينساب من الجنوب الى الشمال ويصب في مرفأ هدرسن . ونهر مسيسيبي الذي يتدافع من الشمال نحو الجنوب ويصب في خليج المكسيك

وهذا النهر الاخير (مسيسيبي) يجتاز مسافة ألف فرسخ ويستقي اراضي دعاها سكان الولايات المتحدة (جنة عدن الجديدة) ودعاها يومئذ الفرنسيون باسم جميل وهو (لوزيانا) . وهناك أنهر اخرى كنهر ميزوري وايلينوير واكانزا واوهيو ووباش وتلسي — كلها متصلة بنهر مسيسيبي تصب فيه . ففي

(١) اصححت اليوم معلومة

فصل الشتاء حين تفيض هذه الانهر وتقتلع الزوابع النباتات والاشجار وتلقيها في مياها تجتمع على وجه المياه هذه البقايا الملقاة فيها وتتلاحم وتماسك وينبت عليها النبات وينمو كما ينمو في جزيرة . ثم تتجه هذه الجزر التي كونتها الزوابع مندفعة بحركة الماء الى نهر مسيسيبي فيحملها هذا النهر الى خليج المكسيك حيث يكثر بها عدد مصابته منشداً في طريقه بين الجبال والادوية اناشيد الماء الجميلة . فكانه نيل مصر في صحراء غير متناهية

والمشاهد على ضفتي هذا النهر مختلفة . فترى الارض في الضفة الغربية مكسوة بانواع النباتات لا يدرك الطرف آخرها وترعى بينها الوف من المواشي الوحشية . وربما رأيت على حين بغنة بقرة وحشية تشق الماء وتخوض النهر سباحة الى احدى جزائره وتجتثم على العشب تستريح فتظنها الالهة ذلك النهر خرجت منه واليه تعود . اما الضفة المقابلة لتلك الضفة فانها مكسوة بالاشجار الباسقة والشجيرات الصغيرة من جميع الالوان والانواع وقد التفت عليها النباتات فجملت تحتها مغاور وكهوفاً . وبين هذه الاشجار والشجيرات التي لا تحصى الوف من الحيوانات والطيور وضعتها هناك يد الخالق الازلية لتأهل ذلك الخلا وتشر فيه جمال الحياة . فتارة ترى دجاً يترنح على جذع شجرة كأنه سكران مما تناوله من العنب . وطوراً ترى سنجاباً يلعب في ظل الاوراق الكثيفة . وآونة ترى حمام فرجينيا وهو بقدر عصفور صغير يهبط سرباً سرباً الى مروج كستها ثمار الفريز لوناً قرمزيّاً . وأخرى ترى البيغاء وغيرها من الطيور تتعلق بقمم الاشجار متداعبة . والافاعي الطيارة تفج وهي تندلى في رأس الشجرة كأنها أهداغصانها . وكما ان الهدوء والسكون سائدان في الضفة الغربية فالحركة سائدة في هذه الضفة . فانك تسمع فيها صوت نقر الطيور جذوع الاشجار وصوت حركات الحيوانات حين مسيرها او رعيها العشب او كسرهما نوى الاثمار بالنيابها . وتبلغ

لى آذانك وانت واقف فيها حفيف اوراق الشجر واصوات اضطراب ماء النهر
وخريره وصراخ حيواني بعيد وانين خارج من قلب حيوان يحنّ او يشكو
وتغريد شجي يشرح الصدر ويثير الخاطر . وبالجملة تسمع اصواتاً مختلفة ولكنها
في وحشة ذلك الخلاء تظهر مؤتلفةً اتفاقاً شجياً . ولكن حين تهبّ ريح شديدة
وتحرك الكائنات في تلك الوحدة وتميل حيواناتها المعلقة بالأغصان وتمزج الوانها
ولوان الاشجار بين ابيض وسماوي وأخضر ووردي وتحمل جميع اصواتها وتمزج
بينها فتجعلها صوتاً واحداً — حينئذ تملأ من جوف تلك الغابات جلبة شديدة
وتتخذ عيون تلك الحيوانات منظراً يعجز قلبي عن وصف حقيقته وتصويره
من لم يشهد ارض الطبيعة وكائناتها كما خلقها الله قبل ان تمتد اليها يد الانسان

❖ الفصل الاول ❖

التي الفرنسي ربه يهجر المتدنين وينخرط في سلك المتوحشين * قبيلة
تتشر الهندية وحملتها لصيد كلب الماء * بدء حديث الشيخ

لما اكتشف الاب ماركت وشقي الحظ لاسال ارض مسيسيبي اقام
الفرنسيون الاولون الذين رحلوا اليها في بيلوكسي ونيوارلس . وكانت قبيلة
(نتشر) الهندية ذات قوة وسلطان في تلك الجهات خالفها اولئك الفرنسيون .
وكان بين هؤلاء الهنود شيخ يدعى شككتاس (١) مشهوراً عند قومه بالروية
والعقل لتأديبه في مدرسة الدهر . فانه اخذ أسيراً الى مرسيليا ظمناً وعدواناً
فأقام في سجن الاشغال الشاقة مدة طويلة ثم أخرج منه وقدم الى الملك
لويس الرابع عشر فخادته الملك وأذن له بمشاهدة حفلات فرساليا الملكية . وقد

(١) معناها في لغة الهنود « الصوت الشجي »

شاهد ايضاً اكابر ذلك العصر وحادثهم وحضر روايات راسين وسمع
تأبين بوسويه . والحلاصة ان ذلك الرجل الوحشي شاهد أرقى مظاهر الهيئة
الاجتماعية المتعدنة

وقد عاد هذا الشيخ الى وطنه منذ عدة سنوات ليعيش مستريحاً . ولكن
السماء لم تكتب له الراحة فانه ابتلي بمرض في عينيه جعله اعمى لا يبصر . فجعلوا
معه فتاة من قبيلته تسير به في شواطئ مسيسيبي وتهديه الى الطريق كما كانت
اتيفونا تهدي خطي (اوديب) على نهر سيتارون

ومع كل ما أصاب الشيخ شكتاس بسبب الفرنسيين فانه كان يحبهم .
وكان يتذكر على الدوام وداد فنلون وضيافته له في فرنسا فكان يتمنى ان يجزي
هذا الرجل الفاضل بفعل جميل . يفعلهُ هو مع أحد أبناء وطنه

فمنحت له هذه الفرصة في سنة ١٧٢٥ . فان فتى فرنسويًا يدعى
(رنه) هجر وطنه في هذه السنة الى لويزيانا مسوقاً بشهواته ومصائبه . ولما
بلغ اليها رحل عنها وركب نهر مسيسيبي قاصداً قبيلة (انشيز) وسألها ان ترزاه
معارباً في جندعا . فلقبه الشيخ شكتاس وحادثه لاثباته عن عزيمته وانذاره
لا يشترط عنه تبناه والزوجه من فتاة عندية اسمها (سلوتا)

وبعد حين تأهبت قبيلة انشيز لحيد كلب (١) واجتمع مجلس (السائم) (٢)
واجتمعوا على اختيار الشيخ شكتاس لقيادة هذه الحملة مع كونه اعمى طامعاً في
السن وذلك لان جميع قبائل المنود تعرفه وتحترمه . فقبل مسير الحملة شرع
اهلها في الصلاة والصيام وبدأ مقسرو الاحلام يضربونها وأخذوا يقرعون القرايين
ويضرمون نارا وينظرون فيما ليروا الالهة الارواح . ثم اكبلوا من لحم الكلب

المقدّس وركبوا زوارقهم تجري بأشعة من جلود الحيوانات وكان رنه في جملتهم .
فساروا في نهر ميسيبي ثم عبروا منه الى نهر اوهايو .
وكان الوقت خريفاً وقفار كنتكي الجميلة 'نشر وتطوى امام هذا الفتى
الفرنسوي . ففي ذات ليلة ورجال القبيلة مستغرقون في النوم تحت جلود الحيوانات
التي تسير بها زوارقهم والقمر ينشر عليها اشعته الفضية اقام رنه والشيخ
شكتاس ساهرين بين رفاقهما لا يعرف الكرى اجفانهما . فالتفت رنه الى شكتاس
وسأله ان يحدثه عن حوادث حياته قطعاً للوقت . فنهض شكتاس الى مقدم
الزورق يتبعه رنه وجلسا هناك وشرع الشيخ في حديثه فقال :

الصيادون

الفصل الثاني *

أسير الحرب والحب

« ان الاقدار التي جمعتنا يا بني أمرها غريب . فانك متمدن اردت ان
تكون متوحشاً وانا متوحش شاء الروح الاعظم (لسبب لا اعلمه) ان يجعلني
متمدناً . وقد دخلت واياك الى الحياة من باين متقابلين متعارضين فجئت أنت
تستريح في مكائي وذهبت انا اجلس في مكانك . ولذلك كان لنا في الامور
رأيان مختلفان . ولكن من منا كان أكثر رجحاً وأقل خسارة في هذا التبادل ؟
هذا أمر لا يعلمه الا الارواح التي علم أقلامها علماً يفوق علم جميع الناس
« في قمر الازهار التالي (١) يرث على ولادتي سبع مرات عشر ثلجات
وفوقها ثلاث ثلجات (٢) وقد ولدني امي على شاطئ ميسيبي . وكان بعض
الاسبانيين قد أقام في ميناء بنساكولا ولكن لم يكن في لوزيانا أحد من البيض

(١) شهر ايار « مايو »

(٢) الثلجة هنا السنة أي عمره ٧ في ١٠ مع ٣ - ٧٣

بعد . وحين سقوط الاوراق للمرة السابعة عشرة بعد ولادتي (١) سرتُ مع
ابي المحارب اوتا اليمسي لمقاتلة قبيلة موسكوكوانج ذات القوة والسلطان في فلوريدا .
وكان الاسبان يون حلفاء لنا في هذه الحرب التي وقعت على احد فروع نهر موبيل
ولكن (اريسكوي) (٢) والارواح خذلونا فانتهصر علينا اعداؤنا وقتل ابي في
تلك الحرب وقد 'جرحت' فيها جرحين وأنا ادا فع عنه . فباليتني هبطتُ
يومئذ الى بلاد النفوس (٣) . ولكن الارواح لم تشأ ما شئتُ فخرني الفارون
من قومنا الى بلدة سنت اوغيستين . فكاد بعضهم في هذه البلدة يخطفني للعمل
في معادن المكسيك ولكن شيخا اسبانياً يدعى لوبيز رقة لصباي وسذاجتي
فخاني وادخاني الى بيته حيث كان يعيش مع اخت له لانه كان غير متزوج
ففعني بي الاثنان عناية شديدة وشرعا في تهذيبي وتدريسي . ولكنني بعد ان
صرفتُ في سنت اوغيستين ثلاثين بلداً (٤) سئمتُ حياة المدن ودبّ الهزال
في جسمي والضجر في نفسي . فخرجتُ قاي الى معيشتي الهندية القديمة فتارة
كنتُ اقيم بضع ساعات اُشاهد رؤوس الغابات عن بعد وطوراً كنتُ اجلس
على شاطئ النهر اتأمل في مياهه الجارية امامي وافكر حزينا آسفاني الاحراش
التي تجري تلك المياه منها . ولما عجزت عن الصبر عنها ارتديت ملابس الهندية
القديمة وحملتُ قوسي ونبالي في يد وحملتُ ملابس الاوروبية في الاخرى وقصدتُ
لوبيز المحسن اليّ فانطرحتُ على قدميه وقلت له في نفسي على مسمع منه كل
كلمة سوف الجحودي جياه وعزمي على تركه . وسألته ان يعذرني لانني اكاد اهلك
اذا أقمت على معيشة المدن ولم اعد الى معيشة الهنود

فدهش لوبيز وأخذ يثبني عن عزمي ويصور لي الانظار التي ساركتها

«١» يعني سقوط اوراق الخريف أي ١٧ سنة «٢» الى الحرب عند الهنود
كما ان المرنج الى الحرب عند الرومان «٣» جهنم «٤» شهراً

من وقوعي أسيراً في يد قبيلة موسكو كوزنج وغير ذلك . ولكنه لما رأي مصرّاً على عزمي بكى وعاتقني وقال ، سرّ اذا يا بني . سرّ يا ابن الطبيعة وسرّ في الحرية فاني لا اريد حرمانك منها . ولو كنت فتيّ مثلك لرافقتك الى انقار حيث لي فيها ايضاً تذكارات جميلة والفتيك بيدي الى امك . وارجو منك حين تصبح في احراشك ان تذكر ذلك الاسباني الشيخ الذي احتضنك . وتذكر خاصة ان اول تجربة جربت بها قلوب البشر نفعتك ولم تضرّك . فلعل هذه التذكاري تحملك على محبة بني جنسك وحسن ظنك بهم

، ثم صلى لوبيز صلاة الى اله المسيحيين الذي لم اتبعه ولا لوبيز اكرهني على اتباعه واقترقنا باكين

، ولكنني ما لبثت ان عوقبت على جهودي جميل المحسن اليّ . فأنني تهت في الاحراش لقلّة خبرتي كما توقع ذلك لوبيز فراآني فريق من رجال موسكو كوزنج وسيمينول وعلّموا من لباسي والريش المغروس في رأسي اني من قبيلة نتشر فامروني . وسألني زعيمهم ما اسمي فاجبته ، انني ادعى شكتاس بن اوتاليسي بن ميسكو الذين حرّوا رؤوس مائة بطل من ابطال موسكو كوزنج ، فضحك الزعيم وقال ، انت ابن اوتاليسي بن ميسكو . افرح واطمئن فانك ستُحرق حياً ، فاجبته ، لا بأس . اني لعلّ استعداد ، ثم انشلت على مسمع منهم نشيد الموت

، ومع انني كنت اسير قبيلة موسكو كوزنج لم اتمالك من الاعجاب برجالها ورجال قبيلة سيمينول المخالفة لها . فان كل شيء عندهم يدلّ على الرضى والباشقة والحبّة . وهم اقرباً خفية الحركة منبسطة الاسرة ساكنو الببال سرّيعو الحديث . وكان مع الحملة نساء فرق النساء لصباي واقبان عليّ يسألني عن امي وزمن طفولتي . فسألني هل علقت امي سريري باغصان الاشجار الزاهرة ؟

وهل كانت الريح تميل سريري بين الاغصان والازهار ؟ ثم سألتني هل رأيت
احلاماً لذينة ؟ وهل نصحت لي اشجار الوادي السري ان احب واوحت
الي الحب ؟ فكنت اجيب الامهات والعذارى بقولي (اتن جمال النهار وزينته .
والليل يعشقن كما يعشق قطر الندى . الرجل يخرج من احشائكن ليتعاق
بثديكن وشفاهكن . ولكن كلام سحر يسكن كل ألم ويطرد كل غم . هذا
ما تعلمته من امي التي لا أراها بعد الآن)

١١ فكان هذا الثناء يطربهن ويزيد في ميلهن الي . فكن يأتيني بالهدايا من
زبدة الجوز والسكر وحلوى الذرة ولحم الدببة الجاف (جمبون) وجلود كلب الماء
وفراش ارقد عليه واصداق اتزين بها . وكن يغنينني ويضاحكنني ثم يذرفن
الدمع كلما فكرن بانني ساحرق

١٢ فني ذات ليلة والحملة قد نزلت في طرف غابة كنت جالساً قرب (نار
الحرب) وبقربي الصياد الذي وكل بي واذا بي اسمع صوت حفيف ثوب على
العشب . فالتفت فابصرت امرأة نصف وجهها مغطى بنقاب وقد قصدتني وجلست
بجانبي . فنظرت اليها على ضوء النار فوجدت الدمع يحول في عينيها وصلياً صغيراً
يسطم على صدرها . وكانت جميلة جالاً منتظماً . وكان على وجهها شيء يقصر
عنه الوصف ويدل على فضيلة وشدة هوى نفسها شدة تجذب النظر اليها
بجاذب لا يدفع . وعدا عن ذلك كان لها ابتسامة سماوية وفي ملامحها من
دلائل الحنان والانكسار ما يسحر الالب

١٣ فظننت انها (عذراء الحب الاخير) تلك العذراء التي يرسلونها الى
الاسير المحكوم عليه بالاعدام لتحلي في نفسه مرارة الموت قبل اعدامه . فقلت
لها باضطراب لم يكن ناشئاً عن خوف النار : (ايها العذراء . انك اهل (للحب
الاول) لا (للحب الاخير) فان نبضات قلب سيسكن بعد حين لا يمكنها

ان تجاوب نبضات قلبك كما يجب . فكيف يمكنني المزج بين الحياة والموت .
دعيني وليكن غيري اسعد مني)

،، فقالت الفتاة ،، كلا . لست (عذراء الحب الاخير) ولكن اخبرني
هل انت مسيحي “ فقلت ،، انني لم اخن قط ارواح الكوخ الذي ولدت فيه “
فاظهرت الهندية التامل وقالت ،، انني اشفق عليك لانك لم تدخل في المسيحية
بل بقيت وثنيًا . انني ادعى (اتالا) ابنة سياماغان ذي الاساور الذهبية ورئيس
هذه الحملة . وقد نصرتني امي . ونحن الآن سائرون الى ابالاشوكلا حيث
’تعدم حرقاً “

،، قالت الفتاة هذا الكلام ثم نهضت وسارت
وهنا سكت الشيخ ليمسح دموعه لانه تذكر تذكارات مؤلماً ثم قال ،، انت
تري يا بني ان شكناس مع شهرته بالحكمة والعقل لم يكن كل حياته حكيماً
عاقلاً . فان احداً لا يكاد يفتح عينيه للنور حتى تجري منهما الدموع . وقد
استمرت هذه الفتاة تأتيني في كل ليلة لتعادثني . فانهى بي الامر ان هجر الكرى
جفني وأصبحت اتالاملاً قلبي كما يملأه تذكارات كوخ اجدادي

،، وبعد مسير الحملة ١٢ يوماً دقت الزعيم هة ف الدعوة الى النزول للاستراحة .
فأخذوني الى شجرة في نجوة من الارض قرب احد (البنابيع الطبيعية) التي
يكثُر وجودها في فلوريدا وربطوني بها وجعلوا عليّ حارساً يحرسني . فما لبثت
اتالا ان اتتني وقالت لحارسي : ايها الصياد اذا شئت صيد شاة البر فدونكها وانا
نحرس الاسير . فطرب الصياد لكلام ابنة رئيسه واندفع يعدو وراء الشاة في
السبل وجلست اتالا قريبة مني

،، ومن مناقضات القلب البشري ان اتالا لما جلست بجانبني اصبحت خائفاً
مضطرباً لانفرادي بها ولم ابجد كلمة اقولها لها مع انني كنت لحبي لها حباً

تملك قلبي اصبو لذلك الانفراد لاشرح لها ما في نفسي . ويظهر ان اتالا كانت مضطربة كاضطرابي فلزمنا السكوت برهة كائن ارواح الحب عقدت لسانينا واغاضت ماء كلامنا . ثم ان اتالا تغلبت على نفسها وقالت :، ايها المحارب ان وثاقلك ضعيف فيمكن قطعه فتخلص بسهولة “ فلما سمعت هذا الكلام عاودتني جرأتي فانطلق لساني فاجبت :، تقولين ان وثاقلك ضعيف ايتها المرأة الا تعلمين انه اصبح شديداً “ فترددت اتالا حيناً ثم مدت يدها الى الحبل الذي كنت مشدوداً به الى جزع الشجرة فحلت عقده وقالت :، انج الآن بنفسك “ فتناولت طرف الحبل والقيته الى يدها وضغطت على اصابعها لتقبض على الحبل وقلت :، استرديه فاني اكره النجاة بدونك “ فقالت ماذا اصابك انسيت انك ستحرق ؟ “ فقلت :، اتى علي زمن كانت فيه اني تحملني على ظهرها في جلد كلب ماء . وكان لابي كوخ جميل وشيات تشرب الماء من مائة شلال . اما الآن فاني وحيد طريد في الدنيا لا وطن لي ولا منزل . فاذا سرت وحدي فلا اجد صديقاً يضع على جثتي بعد موتي قليلاً من العشب لدفع الذباب عني . فان جنة الغريب المسكين لا يلتفت اليها احد “

، فرق قلب اتالا لهذا الكلام وهطلت دموعها فامتزجت بماء النبع الذي كان بجانبنا . فاردفت بقولي متحمساً :، فلو كان قلبك ينطق بما ينطق به قلبي لوجدنا لنا في القفار ملجأً يخفينا عن الابصار . فان شيئاً قليلاً يكفي ابنا الاكواخ مثلنا ليكونوا سعداء . فيا فتاة هي الذ في النفس من احلام الزوج الاول . يا حبيبتى — وأجترى على ان ادعوك كذلك — شديدي عزمك واتبعيني “ فلما سمعت اتالا كلامي اضطربت وقالت :، يا صديقي الصغير انك تتكلم كما يتكلم البيض ومن السهل خديعة فتاة هندية مثلي “ فقلت وقدكدت اطيير فرحاً : انك تدعين (صديقك الصغير) عبداً مسكيناً مثلي “ فقطعت كلامي واقبلت

عليّ ومالت نحوّي قائلة بلهجة العتاب : تقول انك عبد مسكين " فقلت اقبلي لي دليلاً على انني لست كذلك بقبلة من شفّيتك تكون شاهداً على صدق كلامك " وكما يتعلق العصفور بفصن زاهر تعلقتُ بعنق انا لا واقمت لاصقاً بها وجهاً لوجه وفقاً لفهم

ولكن واسفاه يا بني . ان الساعة التي اصبّت فيها من انا دليلاً على حبها كانت الساعة التي هدمت جميع آمالي فيها . فانطقي الآن يا شعور شكتاس البيضاء واعربي عن مبلغ دهشتك حين سمعت من ابنة ساشم هذه الكلمات . قالت : ايها الاسير الجميل انني اجبتك الى سوءالك ولكني لا اعلم الى اين يقودنا هذا الهوى لان ديانتني تفصاني عنك الى الابد . آه يا امامه ماذا فعلت ثم سكّنت انا كما نريد اخفاء سرّ كادت تبوح به . فاصابني اليأس من كلامها هذا فصحت مثلاً : اذاً سأفعل فعلك واكون قاسياً مثلك . فأنني امتنع من الفرار وسترينني بعينيك في وسط لهيب النار وتسمعين باذنبيك انين الحمي وعظمي . فافعل ذلك بسرّك "

فقبضت انا على يدي وصاحت : حقاً انني اشفق عليك ايها الفتى الوثني المسكين . ولكن لماذا انت لا تشفق عليّ وتريد ان اذرف كل ما في عيني من الدموع . انني لا اقدر على الفرار معك . ليت الجوف التعبس الذي حملك يا انا التي بك الى التماسيح في النهر "

وفي ذلك الحين شرعت التماسيح في النهر تصرخ لان الشمس كانت اوشكت ان تغرب . وبعد سكوتنا برهة قلت انا لهلم اسير من هنا . فسرت مقيداً بالحبل وطرفه في يدها واخذنا ننزه في الرين القريبة . فياما اجلك يا انا نزهة لاول حب . انني في تلك الساعة ذهلت عن نفسي ونسيت حريقتي التي جعلت جيل لويز من اجلها ولم يبق لي فكر او هم في الموت الذي اتوقعه بل اصبح

فكري وهي في اتالا وحدها . وفقدت ' قوة العقل والارادة وسقطت ' كما بدفع دافع الى منزلة الطفولية

وفي اثنائنا نزهتنا حاولت اتالا اقناعي بالفرار وحدي وقد سلكت معي كل طرق الرجاء والالتماس فاجبتها : عودي بي الى شجري وشديني اليها بالحبل الذي في يدك والا عدت وحدي الى منازل الحملة وسلمت نفسي .

وفي النهار التالي نزلت الحملة في واد قرب بلدة (كوسكويلا) عاصمة قبيلة سيمينول . فقصدتني اتالا في ظلام الليل والناس نيام وسارت بي الى غابة قريبة لتقنعني بوجوب فراري . فرأينا في خلال الاشجار مشعلاً يضيء وحامله يغني . وكان حامله شاباً سائراً لاستعطاف حبيبة له فاذا اطلقت نار المشعل حيث التفتاها به كان ذلك دلالة على رضائها باتخاذ زوجاً لها واذا تأنست ولم تطفئ المشعل كان ذلك دليلاً على ردها طلبه . وكان الشاب يغني في صفاء ذلك الليل غناءً هذا مطلع

١٠ تقدمت الفجر على قمم الجبال طالباً حامتي المنفردة بين سنديانات الغابة .
١١ قلدت عنقها قلادة من حب الحزف الفاخر . ثلاث منها حمراء رمزاً
١٢ الى حيي . وثلاث بنفسجية اللون رمزاً الى خوفي . وثلاث زرقاء
١٣ رمزاً الى أملي .

١٤ ثم مررنا قرب قبر طفل مجمل هناك ليكون حداً فاصلاً بين املاك قبيلتين . وكانت النساء يمررن بالقبر ويفتحن شفاهن لتدخل في احشائهن روح ذلك الطفل لاعتقادهن ان روحه تتراوح وترفرف هناك بين الازهار والاشجار . فأثر فينا غزل ذلك المغني وحببه ومشهد الامومة لدى هذا القبر . فضاغطت يدانا من تلقا أنفسهما وتوردت وجنتا اتالا هوى وخجلاً وثارت نفسي حباً وشغفا فحملت اتالا بين ذراعي ودخلت بها الى جوف الغابة وهناك

انحأت عقدت لساني قنلتُ لها أقوالاً لا يحضر على شفتي الآن شيء منها .
أجل يا بني ان الشيخوخة تفقد بعض مزايا الشباب كما تفقد ريح الجنوب الحارة
حرارتها اذا مرت بجبال الثلج . وما تذكارات الحب في نفس الشيخ الا كاشعة
النهار بعد مغيب الشمس اذا انعكست الى قرص القمر الطالع في الافق . فهي
فاترة ضعيفة

، فما الذي كان حينئذ يتقد أنالا ؟ ما الذي كان يمنعها حينئذ من السقوط بين ذراعي
في هاوية الطبيعة ويصون نفسها ؟ في ساعة كذلك الساعة لا تنقلها الا معجزة
سماوية . وقد وقعت هذه المعجزة . فان ابنة سياغان (١) لجأت حينئذ الى اله
المسيحيين . فانها تلمّصت من ذراعي وجئت على الارض واخذت تبكي وتصلي
الى امها والى ملكة العذارى (٢) فنذ هذا الحين علمت مبلغ عظمة هذه الانديانة
التي تملأ صاحبها قوة ومسرّة وتكبح جماح شهواته واهوائه حتى في وسط غابة
مقفرة في ظلام الليل البهيم حيث كل شيء يجعل سبيلها سهلاً . فما كان أجل
منظر أنالا الساذجة المتوحشة وهي امام جذع شجرة ممدود تبكي وتصلي من أجل
حبيب وثني وتسال الله العون له ولها على تلك الشدة . ما كان أجل عينيها
الشاختين في قمر السماء ووجنتيها الساطعتين تحت دموع الايمان والحب . حقاً
ان منظرها كان سماوياً . وقد خيل لي غير مرة وانا انظر اليها تبكي وتصلي انها
لساريها تكاد تطير عن الارض وتنطلق نحو السماء . وظننت غير مرة ايضاً
انني أرى الارواح التي يرسلها اله المسيحيين الى من يريد دعوته اليه هابطة نحوها على
جبال نور القمر وانني اسمع حركاتها بين اغصان الشجر . فطارت نفسي شعاعاً
لخوفي ان أنالا لا تعمر طويلاً

، وقد اذرفت أنالا في صلاتها من الدموع وأظهرت من دلائل التألم والخوف

من وجودي بجانبها ما كاد يحملني على تركها والعودة وحدي الى منزل الحملة
لو لم اسمع في الغابة صراخاً وتهديداً بالموت . فالتفت . فابصرت اربعة رجال
مسرعين نحوي . وكانوا مرسلين من قبل الزعيم للتفتيش عني بعد ان شاع
خبر فراري فانتضوا عليّ وقيدوني وعادوا بي . اما انا فلا فقد استقبلتهم بعظمة
الملكات فلما نظرت اليهم شزراً وقصدت اباها . فلم تظهر منه بما يخفف بلواي
بل زادوا في حراستي وشد وثاقي وحالوا بيني وبين حبياتي فمقت خمس ليالٍ —
لم أرها

وفي الليلة السادسة لاحت لنا بلدة ابالاشوكلا القائمة على نهر (شاة أوش)
وكانت غرضنا وغاية سفرنا . فلما قربنا منها زينوني بالزهر ودهنوا وجهي باللون
الازرق والاحمر وعلقوا لؤلؤاً بانفي واذني وجعلوا بين يدي شيشيكوه (١) — كل
ذلك استعداداً للحرق

فدخلت الى المدينة مرّين هذه الزينة فكان الشعب يهتف ويصبح في طريقي .
وكاد يقضى عليّ في ذلك اليوم لو لم يحدث الحادث التالي
ذلك انه لم تكد الحملة تستقر في المدينة حتى نادى المنادي من قبل الميكو (٢)
يدعو الشعب الى اجتماع خاص المناقشة في شأني . وسببه ان بعض المرسلين
المسيحيين كانوا قد حثوا الهنود على اتخاذ الاسرى عبيداً بدل احراقهم وذلك تخفيفاً لهذه
الجناية . فانقسم الشعب فريقين فريق اصرّ على البقاء على عادات اجداده
وفريق طاع المرسلين . فلما رأى رئيس القبيلة اختلافهم في هذا الامر دعا
مجلس شيوخهم الى الاجتماع المناقشة والفصل فيه . وكان مكان المجلس في
ارض منفردة قرب المدينة فاجتمع فيه خمسون من شيوخهم ووقدوا نار المجلس
في وسطهم وقدم منجمهم وكاهنهم الاول يحيط به ثمانية من حراس هيكاهم

(١) آلة موسيقية عند الهنود (٢) رئيس القبيلة كها

وهو مرتد ملابسه ضافية الاذيال وعلى رأسه بوم محظ . فتقدم الكاهن والقي بجوراً في النار وقدم ذبيحة للشمس . فكان لهذا المجلس الساذج وحوله البخور والشيوخ والجند والكهنة منظر مهيب . وكنت مقيداً واقفاً في الوسط . فلما فرغ الكاهن من الذبيحة شرع رئيس القبيلة يشرح لهم سبب هذا الاجتماع ثم ألقى في المجلس عقداً ازرق اللون ليكون شاهداً على مقاله . فنهض رجل من قبيلة (النسر) ودافع عن عادات الآباء والاجداد وسأل المجلس صياتها وترك عادات البيض ثم ألقى عقداً أحمر اللون وجلس . فتلاه رجل من قبيلة أخرى ورداً عليه فدعا المجلس الى نبذ المضر من عادات الاجداد واتخاذ الاسرى عبيداً لحراسة الحقول بدل احراقهم . ولما جلس قامت قيامة المجلس فكان زوبعة هائلة هبت بين رجاله . فأخذوا يتحاورون ويتناقشون كأنهم يتنازعون . ثم انجلى هذا النزاع عن تقرير حفظ عادات الاجداد واحراق الاسير بعد ان كاد المجلس ينحل على غير فائدة

١١ الا انهم لم يتمكنوا من احراق يومئذ لقرب (عيد الموتى) او (وليمة الارواح) وكان من عادتهم ان لا يقتلوا اسيراً في الايام المخصصة بهذا العيد . فاستهووني الى حراس شديدي الرقابة . ولم أر أتالا في اثناء هذه الحوادث . ولما دنا يوم (وليمة الارواح) اخذت القبائل تفد على المدينة من كل حدب وصوب من مسافة ثلاثمائة فرسخ مربع . فانشأوا كوخاً طويلاً في مكان منفرد وفي يوم العيد جاءت كل قبيلة برفات اجدادها وهياكل عظامهم وعلقوها بترتيب عيلة عيلة في مكان بدعونه (قاعة الاجداد المشتركة) . وقد هبت زوبعة شديدة في ذلك الحين فحيل للهنود ان الطبيعة تشاركهم في عيدهم . وبينما كانت اشجار الغابات تضطرب وتئن تحت الزوبعة في الخارج وشلالات الماء ترفع صوته وتسرع في جريانها كان شيوخ القبائل في الداخل يعقدون المحادثات فيما بينهم ويستشهدون عليهم عظام اجدادهم

١١ ثم شرعوا في الاحتفالات والالعب الحزنية والركض ولعب الكرة . واخذت فتان تتنازعان قضيب صفصاف وقد اشتبكت ايديهما وأرجلهما وتقابلت اثديتهما الناهدة وانفاسهما الحارة وحين انتهت نزاعهما صفق لهما الحاضرون فتوردت وجنتاهما (١) ثم شرع الكاهن والمنجم الاول في التعليم الديني . فاستغاث (بيشابو) روح (اله) المياه وقصّ قصة حروب الارنب الكبير مع اله الشر (ماشيانيتو) وكيف خلق الانسان الاول وامراته الاولى المدعوة (اتاينسيك) وكيف هبطا من السماء لفقدتهما طهارتهما . وكيف تخضبت الارض بعد سقوطهما بالدم الاخوي لقتل جوسكيكا الشرير اخاه الصالح تاهو يستسارون . وكيف حدث الطوفان بأمر (الروح الاعظم) وكيف نجح (ماسو) على زورق مصنوع من قشور الاشجار وكيف ارسل غراباً لاكتشاف اليابسة (٢) وقصّ ايضا قصة الجميلة (اندايا) وكيف اخرجت من عالم الارواح باناشيد زوجها الشجية

١٢ ثم شرعوا بعد هذه الالعب والاحتفالات في دفن عظام اجدادهم . فقصدوا شجرة تين بري قديمة كانت على شاطئ نهر شاتاناوش وكان جدادهم قد اعتادوا اكرامها فحفروا تحتها حفرة واسعة ثم خرجوا بعظام اجدادهم من (قاعة الاجداد المشتركة) يتصدون تلك الحفرة في احتفال ونشيد . وكانت كل عيلة تحمل بضع عظام مقدسة . فلما بلغوا الحفرة القوا العظام في القبر وجعلوها فيه طبقات طبقات وفصلوا بين طبقة واخرى بجلود الدببة وكلاب الماء . ولما تراكمت العظام بعضها فوق بعض جعلوا التراب عليها وغرسوا فوقها شجرة

(١) احمرار الوجنتين الانفعال أمر مألوف لدى فتيات المنوحشين وفتياتهم
(٢) هنا موضع نظر فان هذه القصص الهندية شبيهة بما ورد في التوراة عن خلق آدم وحواء وسقوطهما وقتل قابيل وحدث الطوفان ونجاة نوح في ذلك . فاستدل المؤرخون بها على احد امرين . فاما ان اميركا كانت في الزمن القديم متصلة باحدى القارات فعبر اليها اناس اخذ اهلها عنهم هذه الروايات التي تروىها التوراة وبقيت محفوظة في تقاليدهم . او ان بعضهم دخل اميركا قبل كولومبس فاخذ اهلها عنه هذه الروايات

يدعونها (شجرة البكاء والرقاد)

وما فرغوا من هذا الاحتفال وانقضى العيد حتى ارتفع صراخهم يطلبون حرقى . وما اجدر الانسانية بالشفقة والرحمة يا بني . فان النساء انفسهن اللاواني كنّ يذرفن الدموع لدى ذكرهن موتى حرقاً اصبحن يطلبنه بشراسة وشدة ليتلذذن مع المتلذذين بمشاهدة انسان مثاهم يموت بعذاب اليم .

، فساقوني الى غابة في شمال البلدة يدعونها (غابة الدم) لانهم يحتفلون فيها بقتل الاسرى . وكان في وسط الغابة مكان معدة لذلك . فأخذوا يبنون حوله مقاعد لهم ليتفرجوا بمشاهدة موتى وعذابي . وكان الموكلون بحرقى يقيمون لي المحرقة وكل واحد منهم يستعد لتعذيبى بصنف من العذاب . فبعضهم نوى ان يسلخ جلد رأسى وبعضهم نوى سمل عيني بفؤوس محماة . فوقفت وسط الجمع وصحت

، يا رجال موسكوكولج . اني احتقركم ولا اخشاكم . وانني اشد كراهة لكم مني للنساء . ان ابي اوتاليسي قد شرب الماء بجحاجم أشهر ابطالكم . فلا تطعموا في ان يبدر اليّ تهديد حزن او كلمة رجا .

، فلما فرغت من كلامي هذا انبرى احد رفاقهم وقد اغاظته جرأتى فاوتر قوسه ورشقني بسهم فاصابني سهمه في ذراعي فادماها . فالتفت اليه وقلت ، شكراً لك ايها الاخ .

، ولكن الموكلين بحرقى لم يفرغوا قبل غروب الشمس من اعداد المحرقة وترتيب المكان فاستفتوا المنجم والكاهن الاول في حرقى بعد الغروب فافتاهم بتركه الى الغد خوفاً من ازعاج ارواح الليل . فتأخر اعدائي الى اليوم التالي

، على ان الشعب لم يعد عن (غابة الدم) بل رقد فيها تلك الليلة ليكون في الغد قريباً من المحرقة . فشرعوا في بسط الطعام والرقص واضرام الحرائق ليستضيئوا بها . اما انا فساقوني الى جانب والقوني على ظهري الى الارض وشدوا عنقي ويديّ وفخذيّ الى اوتاد غرسوها في التراب ورقد جنديّ على كل

جبل مشدود الى وتد حتى اذا تحركت في الليل وطلبت النهوض تنبه الجنود الراقدون على الجبال

١٠ ولما انقضى هزيع من الليل سكنت الجلبة شيئاً فشيئاً وأخذت الحرائق تنطفئ وخفتت اصوات اللاعبين والمنشدين وحلت محلها اصوات الرياح تداعب اغصان الاشجار . وكان الهلال يسبح في الغيوم في كبد السماء وعيني شاخستان نحوه انساها اذا يقم لي في الغد وهل اراه مرة اخرى . وكنت اأمل في حالي ومصبري والعن اتالا التي تركتني مع انني آثرت الموت حرماً على تركها والنجاة بنفسي وحدي . وبت بعد جحودها هذا الجميل أرى انها وحش في صورة امرأة . ولكني مع ذلك كنت اشعر باني احبها حباً يقرب من العبادة واني اموت مسروراً من أجلها

١١ ان في اللذات العظمى يا بني شيئاً يثيرنا وينبها كأنه يحثنا على الاستمرار في التمتع بها . ولكن في الآلام العظمى شيئاً ثقيلاً يضغط علينا وينبها . ولا عجب فان الجفون التي تعبها الدموع تميل بحكم الطبع الى الانطباع وهذا من مراحم العناية السماوية تظهر فينا حتى في ابان مصائبنا وآلامنا . فاطعت هوى نفسي ورقدت رقاداً ثقيلاً كالرقاد الذي يتمتع به الاشقياء احياناً . وبينما كنت مستغرقاً في النوم رأيت في الحلم ان قيودي تمحل واحسست بلذة التفت منها . وقد اشتد علي هذا الاحساس وهذه اللذة حتى فتحت جفني . فاذا ابصرت ابصرت وجهاً ملئاً ابيض محنياً عليّ ويدين تشتغلان بحمل وثاقي بهدوء . فكنت اصيح فوضع الشيخ يده على فمي لاسكاتي فعرفت يد اتالا . وكانت قد حلت جميع الجبال الا حبلاً واحداً كان احد الجنود راقداً عليه بكل جسمه ويخشى ان يستيقظ اذا لمس الجبل . فمدت اتالا يدها الى ذلك الجبل فانتبه الجندي واستوى جالساً وهو بين اليقظة والنمام فانتصبت اتالا امامه جامدة فاسرع الجندي الى الرقاد ثانية لظنه انها (روح الخرائب) ظهرت له واطبق جفنيه وصار يستغيث بالروح التي تحميه ثم نام . ولما حلت اتالا الجبل نهضت وتبعته مطلقتي من

قبودي فمدت الي قوساً امسكت بطرفها وامسكت هي بالطرف الآخر وقادتني خارج
انكاراً . ولكن الخطر كان يهددنا من كل جانب . فتارة كدنا نصطدم
بجنود ثائمين وطوراً كان يلقانا الحراس فتخاطبهم اتالا بصوت غير صوتها الاعتيادي
فيتركوننا نمر في سبيلنا . وكنا نسمع في طريقنا بكاء الاطفال ونباح الكلاب علينا
فترتعد فرائصنا . وما كدنا نخرج من تلك الدائرة الهائلة وتنفس الصعداء
حتى دوت في الغابة اصوات الجنود لانتباههم الي فراري فاسرعنا في الهرب
ورأيناهم وراءنا يطوفون الغابة بالمشاعل ويفتشون فيها .

١١ ولما طلع علينا الصباح كنا قد اجتزنا مسافة بعيدة ولم يلحق بنا احد فكانت
سعادتي ولذتي مضاعفة لانني انطلقت من اسري واصبحت منفرداً باتالا في
وسط البر ولا رقيب علينا . فانطرحت على قدمي مطلقتي من اسري التي وهبتي
نفسها ولم اجد كلاماً اعرب لها فيه عن عواطفني فقلت لها ١١ ان الرجال (شي
لا يذكر) ولكن اذا زارتهم الارواح اصبحوا (لاشي) وانت (روح سماوية)
زارتني ولا استطيع الكلام امامك “

١١ فابتسمت اتالا ومدت الي يدها وقالت (تبعتك لانك ايت الفرار وحدك
وفي الليلة الماضية رشوت الكاهن لتأخير حرقك الي الغد واسكرت بروح النار (١)
الموكلين بحراستك . ولقد جازفت بحياتي من اجلك لانك جازفت بحياتك من اجلي “
ثم قالت بلهجة اخافتني ١١ وبذلك انكرت ذاتي ايها الفتى الوثني كما انكرت ذاتك
فالانكاريننا متبادل “



١١ وكانت اتالا تبكي في اثنا كلامها بكاء جرح قلبي . ثم القت الي السلاح
الذي تزودته لحاجتنا اليه في الطريق واقبلت علي تضمد جرح ذراعي فتناولت
ورقة نبات وغمسها بدموعها والصقتها على الجرح فابتسمت وقلت ١١ هذا ترياق
تشرينه على جرحي “ فاجابت ١١ انني اخشى ان يكون سما “ ثم مرقت قطعة
نسيج من لباسها ولفت ذراعي بها

١١ وكان السبب في نجاتنا من ايدي الهنود الذين كانوا يطلبوننا اننا جعلنا وجهتنا (النجم الثابت) (١) اما الهنود فذهبوا يطلبوننا على ما اظن في جهة الغرب لظنهم انني اقصد العودة الى وطني في مسيسيبي .

١١ ولم يكده يهدأ روحنا وثق بنجاتنا حتى رأينا اننا لم نستفد شيئاً من هذه النجاة . فان القفار الهائلة كانت تحيط بنا من كل جانب وتنسبط في الجهات الاربع الى مسافات لا يدرك الطرف آخرها ونحن وحيدان فريدان ضعيفان في وسطها . ولم يكن لاحدنا خبرة في الطرق والغابات فاذا سرنا على غير هدى تنها في تيه لا آخر له وكانت الآخرة شراً من الاولى

١١ وكنا نتسلى في الطريق بمداعبة احدها الآخر فاخذت اتالا تصنع لي لباساً من الياق الاشجار لانني كنت اكون عارياً . واخذت ازينها بالازهار الجميلة التي نجدها في طريقنا فكنت اصنع لها منها اكليل اكليها بها ثم اقمع بمشاهدة جمالها الرائع تحت تلك الازهار . وحين كان يعترض طريقنا جدول كنا نعبه سباحة ويدها في السباحة مستندة الى كتفي فتشبه اوزتين تعبران الماء . وفي ايام الحر الشديد كنا نلجأ الى ظل اشجار الارز للاستراحة تحتها . ومعلوم ان جميع اشجار فلوريدا واخص منها الارز والسنديان الاخضرانما تتدلى من اغصانها الياق بيضاء الى الارض . فاذا جن الظلام ولاحت لك احدى هذه الاشجار على اشعة نور القمر الضئيلة حسبتها شيئاً هائلاً يحير وراءه اودية بيضاء . وليس منظرها في النهار باقل جلالاً منه في الليل لان الوفاً من الفراش والذباب الساطعة والحشرات المختلفة الملونة والعصافير الصغيرة تقع على تلك الياق المدلاة فتحسبها بساطاً جميلاً مصنوعاً من الصوف ومطرزاً باليد تطريزاً يرسم فيه صور تلك الحيوانات الجميلة . وحين كنا نستريح في جوف هذا الفندق الطبيعي العظيم الذي صنعه (الروح الاعظم) لسكان البر وتهب ريح عاتية فتهد هذا القصر الهوائي القائم على اغصانه البيضاء المدلاة فيترنح من هزها بما عليه من

حشرات وحيوانات وترتفع من دهاليزه ومما حوله من الاشجار تنفسات الكائنات الحية والجامدة — كنت اراني في عجيبة من عجائب الطبيعة لا تضاهيها عجائب العالم القديم الصناعية

« وكنا في كل مساء نبي كوخاً صغيراً للمبيت فيه ونعد غذاءنا من نبات البر وبراعم الشجر وتفتح ايار (مايو) والجوز الاسود والطيور التي نسطادها بنالنا في الطريق كديك الحبش الوحشي وغيره . فكنت اوقد ناراً واعلق الطائر فوقها واترك للريح عناية تقليه وتحريكه عليها لينضج . واحياناً اذا كنا بعيدين من الماء كنت اطلب نباتاً اعرفه وهو ذوزهر مستطيل كالاسطوانة المقعرة ويتضمن دوماً في جوفه مقدار كأس من ندى السماء النقي . فكنا نشكر العناية السماوية لوضعها في زهرة تنبت في وسط القفار المحرقة والمستنقعات القذرة ماءً يروي غليل المسافرين كما تضع الامل في نفس كل يائس وكما تغرس الفضيلة في نفس الشقي المسكين » وكنت كلما طال مسيرنا وسفرنا احس بانني كنت مخدوعاً في اعتقادي بهدوء اتالا وسكينتها . فانا كلما قطعنا مرحلة كانت اتالا تزداد حزناً وانتفاضاً . والذي كان يخفي منها خاصة سرّاً كانت تكتمه عني . فاني كنت اباغتها احياناً وهي شاخصة نحوي بهوى وغرام ثم ترفع نظرها الى السماء بحزن شديد . وكما كنت اظن انني ازددت تملكاً لقلبها كنت اعود فاري انني ما زلت حياً كنت . فني ذات يوم وقد رأت كآبتي لكآبتها قالت لي « اني احبك حي لظل الغابة في حرّ النهار وارك جميلاً كهذا القفر وما فيه من خضرة وزهر ونسيم عليل يشرح الصدر . وانني ارتعد ارتعاداً اذا دنوت مني . واذا مست يدي يدك ظننت اني اكاد اموت . ومنذ يومين كان رأسك مسنداً الى صدري فهبت الريح ونسفت شعرك الى وجهي فلما مسني شعرك ظننت ان ارواح الغيب تمسني . كل هذا يا حبيبي شككنا المسكين حقيقي ولكني لا اكون زوجتك ابداً »

« فكلام اتالا هذا وامتزاج حبها بالدين ودينها بالحب وطمارة اخلاقها وحنو قلبها واباؤها وشدة احساسها وسمو نفسها — كل هذه كانت تجعلها في نظري

كأننا لا ندرك حقيقته . فكنت امثل لارادتها واسكت . وبعد انتضاء ١٨ ليلة على فرارنا بلغنا سلسلة جبال اليفاني فاعترضنا احد فروع نهر تنسي الذي يصب في نهر اوهايو . فشارت علي اتالا ان اصنع زورقاً من قشور الاشجار وأصل بينها بجذور شجر الصنوبر اخطبها بها واطليها بصمغ شجر الخوخ . ففعلت وركبنا الزورق واسلمناه الى تيار النهر يجري به في انحداره . فاجتزنا الى يسارنا قرية (ستيكوي) الهندية وقبورها القائمة بشكل هرمي وخرائبها الدارسة . ثم اجتزنا الى اليمين وادي (كاو) ولاحت لنا من ورائه اكواخ (جور) القائمة في جبل مسمى بهذا الاسم . وكانت المياه التي تحملنا تجري بين اكام مرتفعة يلوح من ورائها قرص الشمس الآخذة في المغيب . وكان حولنا سكون مطلق لانه لم يكن في طريقنا انسان يكدر صفوه الا صياداً هندياً رأيناه في قمة الجبل واقفاً يستند الى قوسه وهو جامد في مكانه كأنه صنم اقيم هناك اكراماً لارواح القفر . وكنت واتالا ساكتين والزورق يجري بنا فكان سكوتنا وسكوت الطبيعة حولنا مؤثراً جداً . ولكن اتالا صرخت بغتة في ذلك الحين صراخاً شق الفضاء بنشيد شجي تهتز فيه امواج صوتها الرخيم اهتزازاً يطرب الجماد . فاخذت تغني وتندب وطنها الذي فارقه وهذا بعض غنائها

١١ ما اسعد الذين لم يروا دخان اكواخ الاجانب . ما اسعد الذين لم يجلسوا الى مائدة غير موائد آبائهم واجدادهم

١١ بعد سفر شاق طويل يجلس المسافر الغريب للراحة بحزن وكآبة . فيرى حوله منازل الناس ولا يرى لنفسه مكاناً يضع فيه رأسه . فيقصد كوخاً ويطرق بابه ويلقي قوسه الى جانب ويسأل صاحب الكوخ الضيافة . فيشير اليه صاحب الكوخ اشارة فيسترد الغريب قوسه ويعود خائباً من حيث اتى

١١ ما اسعد الذين لم يروا دخان اكواخ الاجانب . ما اسعد الذين لم يجلسوا الى مائدة غير موائد آبائهم واجدادهم

« هذا كان غناءً اتالا . فآثر هذا الغناء في نفسي ونفسيها فاذرفنا الدموع . وبعد فراغها منه عاد كل شيء الى السكوت المطلق فلم نكن نسمع شيئاً سوى صوت زورقنا يشق الماء الا صدى غناء اتالا الذي كان يتردد بين الآكام وفي جوف الاحراش كأنها مأهولة بأرواح عشاق كانوا اشقياء مثلنا فقاموا يجاوبونا » وكان هذا الانفراد في البر ومصائبنا ووجودنا كل الوقت مجتمعين معاً مما يزيد هوى نفسينا ويذكي نار حبنا . فاخذت احس بان قوى اتالا شرعت تنحط واهواها التي اضنت جسمها اضعفت فضيلتها . فكانت اتالا تكثر من الصلاة لامها تسكيناً لغضبها عليها لظننا انها غضبي . وكانت لاضطرابها تسألني تارة هل اسمع صوتاً يشكو وطوراً هل أرى لهيباً يرتفع من الارض ولم يسمع هناك صوت يشكو ولم يكن لهيب . اما انا فقد كنت اظن انه قضي علي في تلك القفار بالهلاك وعدم الخروج منها فكنت مراراً وقد اعياني التعب والغم وعذبتني نار الهوى والرغبة — ان اقبض على زوجتي واضمها بين ذراعي واشفي غليل نفسي . وقد سألتها غير مرة ان تنحدر ونبني لنا كوخاً صغيراً على الشاطئ وندفن نفسينا في حفرة تحته فكانت تأبى وتقول احفظ نفسك لقومك يا ابن اوتاليسي فان الانسان لوطنه وقومه لا لنفسه . وكنا حينئذ من الضيق والعذاب في حالة ما عليها من مزيد لولا ان حدث حادث زاد في شقاءنا وعذابنا

« وكان ذلك في الشمس السابعة والثلاثين بعد فرارنا . وكان قد بدأ (قمر النار) (١) وكل شيء في السماء يدل على انقلاب الجو . فلما هبط الظلام سمعت من جوف الغابة بين اشجارها القديمة كقدم الزمان صعقات الصاعقة ورأيت برقها الحاطف . ثم شهدت النهر يسرع في الجريان والريح تعصف فاسرعت واتالا وانحدرنا من الزورق خوف فيضان النهر والتجاننا الى

اشجار الغابة . وكان النهر قد فاض ولم نحس به فاصبح الشاطئ كستق متصل . وهاجمتنا بعد نزولنا جيوش الحشرات المختلفة والحفاش فكادت تعمينا . وكنا نرى الافاعي ذات الاجراس بارزة من كل جانب والذئاب والذئبة والنمورة تتزاحم هناك لانها انحدرت من الجبال وتركت السهول للالتجاء الى الغابة . وكانت الغابة قد خيم عليها الظلام للضباب الذي تكاثف فيها وكانت الريح تهب من الغرب وتطرد اليها الضباب البعيد منها فتزيد ظلامها ظلاماً . وكانت السماء تنفتح في الظلام حيناً بعد حين اذ تشقها الصاعقة وتثير الارض تحتها فتكشف القفار والبراري الى ما لا يدرك الطرف آخره . ثم سمع في الغابة صوت الصاعقة ثانية ونظر الدخان مرتفعاً منها فعلمنا ان الصاعقة اضرمت النار فيها . ثم اخذت هذه النار تمتد والصواعق تنقض من كل جهة واعمدت اللهب والشرر والدخان والضباب تتصاعد في الجو ممتزجة امتزاجاً هائلاً بين زفير الوحوش الحافظة والرياح العاصفة وتحطم الاشجار وصوت النار وتردد اصداؤه هذه الاصوات كلها في الجبال والقفار

١١ ان الروح الاعظم يا بني يعلم اني لم افكر في نفسي في ذلك الحين وانما كان فكري في اتالا . فاخذتها الى ظل شجرة واجلستها على ركبتى وشرعت في تدفئة قدميها العاريتين يدي وتسكين بالها . وبينما كنت اعنى بها احسست بدمعة سقطت من عينها على صدري . فصحت (يا زوبعة النفس أهذه قطرة من قطرك) ثم قبلتها بكل ما في نفسي من القوة وقلت ١٢ اتالا يا حبيبتى . اني ارى انك تكتميني أمراً . فافتحي لي خبايا قلبك وخاطبيني مخاطبتك لاني لك . انني لا أعلم شيئاً ألد من ان يفتح الانسان قلبه لصديق مخلص ويشرح له مكنوناته . قصي علي قصة سرى الذي تكتمينه عني . مالك يشتد بكائك . هل تبكين وطنك ؟ ١٣ فاجابت ١٤ كيف ابكي وطني يا ابن الناس واني ليس من هذه البلاد ١٥

، فدهشت وقلت (لم يكن أبوك من هذه البلاد ؟ فمن أي بلد هو ؟
تكلني واخبرني)
، فقالت أنا لا

— قبل أن تهدي أمي إلى زوجها سيماغان ٣٠ عبداً و ٢٠ جاموساً و ١٠٠
كيلة من زيت السنديان و ٥٠ جلدًا من جلود كلب الماء وغيرها من النفائس — كانت
قد عرفت رجلاً من البيض . فلما رأت جدي ميلها إلى هذا الرجل رشتها
بالماء في وجهها واكرهتها على الاقتران بسيماغان الذي كان يشبه الملوك . فلما اجتمعت
أمي بسيماغان بعد الزواج قالت له : ان جوفي قد حمل فاقتلني . فاجابها سيماغان
فليحفظني الروح الاعظم من فعل اثم كهذا الفعل . لا اقتلك ولا اجدع انك
ولا اقطع اذنك لانك خاطبتني باخلاص ولم تدنسي فراشي . اذهبي وضعي
ثمرة جوفك فاعتبرها من ثماري . ولكني لا ازورك الا بعد حلول القمر الثالث
عشر . — وفي هذا الحين شقت جوف أمي وأخذت أنمو بكبرياء الاسبانيين
والهنود . ففترتني أمي وجعلتني مسيحية وذلك لاشتراك في عبادة اله أبي واله
أمي . ثم اصيبت أمي بداء الحب لفراقها الرجل الأبيض فماتت وانزلت إلى المغارة
الصغيرة المفروشة بالجلود والتي لا يخرج منها كل من ينزل إليها)

، فادهشتي هذه القصة وسألت أنا لا (فمن هو إذاً أبوك ايها اليتيمة
المسكينة ؟ وما اسمه في هذه الارض ؟ وأي اسم كان له في عالم الارواح ؟)
فاجابتي ، لم اغسل قط قدمي أبي ولم أره . وإنما اعلم انه يعيش الآن في
مدينة سنت اوغستين مع اخته وكان مخلصاً في حب أمي وقد استمرَّ يحبها .
وكان اسمه بين الملائكة (فيليب) والناس يسمونه (لوييز)

، فلما سمعت هذه الكلمة صحت صيحة دوت لها الغابة . ثم ضمت
أنا لا إلى صدري وصحت باكياً (يا اختي . يا ابنة لوييز الذي اتقذني واحسن اليّ)

١١ فدهشت اتالا وخافت وسألني عن سبب اضطرابي هذا . ولكنها حين علمت ان لوييز الذي كان اباها هو الذي اتقذني وحامي وتباني في سنت اوغستين وقد تركته لسثامتي عيش المدن ورغبتي في العودة الى الحلا — كادت تطير فرحاً وسروراً واضطربت كاضطرابي . فكان كثيراً علينا هذا السرور الجديد الذي ورد يزيد في حبنا ويمزج نفسينا مزجاً جديداً . فشعرت في تلك الساعة ان كل مقاومة من اتالا اصبحت عبئاً . وتحققت ارتخاء عزمها من نظري اليها ورويتها تضع يدها بضعف وانكسار على صدرها كأنها تريد منع قلبها من الفرار منها . فقبضت على رأسها وانا كالمجنون هوى وغراماً وطوقت عنقها بذراعي وكرعت كؤوس الهوى والسحر من انفاسها وشفتيها حتى كدت أفقد صوابي . ثم ضممتها وهي شاخصة في السماء على نور البرق الذي كان يتألق حولنا والروح الاعظم الازلي ينظر الينا ويشهد علينا . ومثل لي حينئذ وهي بين ذراعي ان تلك الغابة الواسعة المائجة كالنهر الثائر انما اعدت لتكون فراشاً لزواجنا وان الاشجار التي ترقص فيها والصواعق التي تنفض حولها والحرائق المضطربة في اغصانها واصوات الحيوانات المرتفعة من جهاتها الاربع — انما هي حفلة رائعة اقيمت لاقترانا . فيا غابة الدهر العذراء . يا امتدى الطبيعة الوحشي العظيم . يا ارضاً وسماء حسبتكما فراشاً وغطاءً لهائي وسعادتي . لماذا خدعتني ولم تقدرني على ان تصوني في احشائك السرية المضطربة سعادة رجل وامرأة

١٢ وكادت اتالا تترك المقاومة وتستسلم اليّ وكدت ابلغ منها مني نفسي واصيب هنائي واذا بصاعقة قد انقضت بجانبنا فخطمت شجرة قرية مناوملاء الغابة ناراً ونوراً . فاجفلنا ونهضنا نركن الى الفرار من النار . ولكن يا الدهشة فانه ما سكن صوت الصاعقة وذهب أثرها حتى سمعنا صوت جرس يقرع ونباح كلب بعيد . ثم دنا النباح واشتد وبعد حين ابصرنا امامنا شيخاً منفرداً

يحمل مصباحاً صغيراً وهو يقتفي أثر الكاب في ظلام الغابة . فلما رآنا الشيخ صاح ، مبارك اسم الله . لقد مرّ عليّ زمن طويل وأنا اقتش عنكما فان كلبي شمّ ريحكما منذ بدء الزوبعة وأخذ ينبح ويمجري امامي حتى بلغ بي الى هنا وهداني اليكما . لله ما اصغر سنهما . تعاليا تعاليا يا ولديّ فانكما تمذبتما ولا شك . هذا جلد دب للفتاة وهذه جرعة من النبيذ للفتى من حقيقتي . مبارك اسم الرب الذي اتقدكما وهداني اليكما “

، وكانت اتالا قد عرفت من منظر الشيخ انه من المرسلين المسيحيين فانطرحت جاثية امامه وقالت (انني مسيحية يا أبتاه ولا شك في ان الله ارسلك لاتقاضي .) فاجاب الشيخ وقد اخذ يدها وانفضها ، ان مستقر بعثتنا يابنية قريب من هنا وقد اعتدنا في الزوابع قرع الجرس لدعوة الغرباء الينا ودرّبنا كلنا على ان يكتشف المسافرين التائهين كما يفعل رهبان جبال الالب ولبنان بكلاهم “ وكنت عاجزاً عن فهم كلام الشيخ لانني رأيت ان هذه الرحمة والشفقة فوق طوق البشر . وقد تأملت فيه على نور مصباحه الضئيل فلاح لي لحيته الطويلة ورأيت شعره مبتلاً بما المطر ووجهه ويديه وقدميه مخضبة بالدم من وخز الاشواك . فقلت له ، يا ايها الشيخ الجليل ما هذا القلب الذي لك أما تخشي الصاعقة “ فقال الشيخ ، اخشى ؟ وماذا اخشى . ايليق بي ان اخشى شيئاً اذا رأيت بشراً في خطر وكان في امكاني اعانتهم . انني اكون حينئذ غير اهل للبس هذا الثوب “ فقلت له ، ولكن أتعلم انني لست بمسيحي “ فاجاب الشيخ ، هل سألتك عن دينك ايها الفتى لتقول لي هذا القول ؟ لا فرق عندي بين المسيحي وغير المسيحي . فان المسيح مات من أجل اليهود وغير اليهود وكان يعدّ جميع البشر اخواناً وأقرباء . على ان ما افعل الآن من اجلك ليس شيئاً واذا كان شيئاً فالفضل فيه لله صاحب الفضل الاعظم وما

نحن الا وسائل خشنة لانفاذ ارادته

، فآثر في نفسي هذا الكلام واجرى دموعي . فاردف الشيخ بقوله
(يا ولدي . اني ارعى بين هذه الغابات رعية صغيرة ومغارقي في هذا الجبل
قريبة من هنا . فتعاليا واتبعاني فانكما ان لم تجداني لدي كل وسائل الراحة والدفاء
والسعة فانكما تجدان على الاقل ملجأ لكما . ومع ذلك فهذا كثير ويجب حمد
الله من اجله لان كثيرين من البشر لا ملجأ لهم)

الزراعة

الفصل الثالث

اول قران بين الارض والانسان في ظلمات اميركا الاولى * التمدن بالزراع
ولدين * ولكن بدين المخلصين الصادقين

، في البشر صلاح مستريحو الضمائر والخواطر لا تستطيع الدنو منهم الا
وتسري اليك سكينتهم وراحتهم . وهكذا كان حالي مع هذا الشيخ . فاني ما
سمعته يتكلم حتى اخذت اهوائي في السكينة بل خيّل لي ان الطبيعة نفسها
اخذت تسكن لسماها صوته والزوينة شرعت تهدأ . فخرجنا من الغابة يتقدمنا
الكلاب وهو يحمل المصباح مطفأ ومعلقاً بطرف عصا والشيخ يتبعه . وكنت
واتالا نسير وراء الشيخ والشيخ يتلفت من حين الى حين ليرانا وينظر الينا بعين
ملؤها الشفقة والحنان . وكان يتوكأ في سيره على عصا بيضاء في يده وفي عنقه
كتاب ممّاق . وكانت تلوح على وجهه لوائح ميتة هادئة فتدل على موت
اهوائه وشهواته . وغضون جبينه الجميلة كانت تظهر ان تلك الاهواء قد دفنت في
نفسه دفناً ابدياً . وكان طويل القامة نحيفها اصفر الوجه . وكان يدعى الاءب
(او: بره)

١١ فبعد مسيرنا في الجبل نصف ساعة في طريق محفوف بالخطر بلغنا الى مغارة الشيخ وكانت منقورة في الجبل . فوجدناها مفروشة باوراق الشجر ولم نر فيها غير اناء لاستقاء الماء وبضعة اوان من الحشب وافعى اهلية وحجراً يستعمل ككائدة وعليه صليب منصوب وكتاب المسيحيين

١٢ فارقد الشيخ ناراً من الحطب والنبات الجاف ثم طحن شيئاً من الذره بين حجرين وصنع من دقيقها قرصاً ووضع على النار حتى تضج وصار لونه ذهبياً فقدمه لنا ووضع معه امامنا اناء فيه زبدة الجوز . وبعد ان تناولنا الطعام خرج بنا الى مدخل المغارة لان الزوبعة كانت قد هدأت . فرأينا من أعلى الجبل ان حرساً من الصنوبر اقتلته الريح والقت اشجاره في النهر والحرائق التي اضرمتها الصواعق في الغابة لا تزال نارها تسطع ومياه النهر تجري مضطربة لان بقايا الزوبعة كانت تعترضها - كجذوع اشجار ورم حيوانات واسماك ميتة كانت بطونها البيضاء تسطع على وجه الماء

١٣ جلسنا هناك واخذت اناالا تقص على الشيخ قصتنا . فبكى الشيخ لما وقع لنا وقال (اذا لم يكن لكما ملجأ افضل من هذا الملجأ يا ولدي فاني اقترح عليكما الدخول في رعييتي التي نصّرتها وجمعتها في قرية يجاني هنا وساعلم شكّاس التعليم المسيحي ثم اجعله يا بنية زوجاً لك

١٤ فجنّوت احمد الشيخ لفضله وبكيت سروراً وفرحاً . اما اناالا فامتنعت وسكتت . فد الشيخ يده وانهمضني فنظرت فرأيت بعض اصابع يديه مقطوعة . فادركت اناالا السبب وصاحت (ما اشد توحشهم) فابتمس الشيخ وقال - يا بنية لا تسخطي على اولئك الهنود الوثنيين الذين فعلوا بي هذه الفعلة . فانهم مساكين نميت بصائرهم وسينيرها الله . وانني احبهم حباً يعدل العذاب الذي عذبوني به . لقد مرّت عليّ ثلاثون سنة وانا مقيم في هذا المكان ولما

قدمتُ اليه لم اجد فيه الا عيالا رُحَّل اخلاقها وحشية ومعيشتها شقية . اما الآن فهم يعيشون في رغد وهناء في قرية قريبة مني . ولم اسأكنهم لخوفي ان يزعمهم وجودي بينهم كرقيب عليهم . وقد درَّبتُ هؤلاء السذج في طريق الخلاص وعامتهم فنَّ المعيشة وواجبات الحياة ولكني لم اغالِ في هذا التعليم وهذا التدريب بل تركتُ لهم سذاجتهم التي فيها تمام سعادتهم . وانا الآن اعيش في هذه الوحدة العظمى استعدَّة للموت واحمد الله

١١ ثم عدنا الى المغارة ففرش الشيخ الراهب لانا فراشا من النبات الجاف . وكنتُ قد بتُّ ارى في وجه انا وعينيها وحركاتها شيئا لا يدرك ويدل على اضطرابها وحيرتها وحزنها . وكمن مرة رأيتها قد همَّت ان تخاطب الراهب الشيخ في أمر تريد اطلاعه عليه ثم تسكت كأنَّ هناك شيئا يثنيها عنه . ولم اكُ اعلم ما هذا الشيء أهو حضوري أم حياؤها ام معرفتها ان كلامها لافائدة فيه . وقد احسستُ في الليل بانها نهضت من فراشها وخرجت تطلب الشيخ ولكنها لم تجده لانه كان قد ترك لها فراشه وخرج الى عرض البر يتسعد بمشاهدة الارض والسماء في الظلام . وقد اخبرني غير مرة انه لا يلذ له شيء كهذا في أكثر الليالي . فعادت انا الى فراشها وانطرحت فيه . على اني وأسفاه لم أر في جميع حركاتها هذه الا دليلا على تعبها واضطرابها وقتيا

١٢ وفي الصباح انتهتُ على تغريد الطيور في اشجار الغار والا كاسيا التي كانت تحيط بالمغارة فخرجتُ فوجدت الراهب الشيخ يستريح على جذع شجرة حطمها الزمان . فاقترح عليَّ مرافقته الى القرية التي تقيم فيها رعيته ريثما تستريح انا في فراشها وتنتبه من نومها . فانحدرنا من الجبل نقصد القرية

١٣ فررنا في طريقنا باشجار من السنديان عليها كتابات غريبة نقشها الراهب بيده فسألته عنها فاخبرني انها آيات من الشعر لهوميروس وسليمان .

فرأيتُ بين ذينك الشيخين المتناهيين في القدم والشيخ الذي كان امامي كأنه قطعة من الزمان نسبةً هي نسبة الحكمة والحكمة والجلال . ثم وصلنا الى وادٍ رأيتُ فيه جسراً طبعياً جميلاً كجسر فرجينيا المشهور . فررنا على هذا الجسر فأدى بنا الى تحفة اخرى وهي مدفن رعيّة الراهب . وكان لكل عيلة حصة من ارض هذا المدفن وكأنّ كلّ حصة حرشٍ لعناية اصحابها بغرس الاشجار والنبات فيها . وكان بين جميع الحصص نهر يجري ويدعونه (نهر السلام) . ثم خرجنا من المدفن عن طريق غابة مبسوطة في جانبه الغربي وفيها الطيور تعشش وتغرد كأنها تحتفل بالموتى المدفونين في ذلك المدفن احتفالاً ابدياً . وما خرجنا من هذا المدفن حتى بدت لنا قرية رعية الراهب وكانت قائمة على شاطئ بحيرة في سهل انتشرت فيه الازهار . وكان الطريق اليها مغروساً بالسنديان الاخضر وورد البرّ ككثير من الطرق المؤدية الى الجبال بين فلوريدا وكنتيكي . فلما لمح الهنود شيخهم وراهبهم مقبلاً تركوا اعمالهم واسرعوا اليه من كل صوب . فكان بعضهم يلثم يديه وبعضهم يمس ثوبه وبعضهم يساعده في سيره . ووفد النساء باولادهن يحملنهم بين ايديهن ليرينهم رجل الله . اما الراهب الشيخ فكان يندف دمع الابتهاج ويسأل كل واحد منهم عن عمله وحقله وحاصلاته ومنزله واولاده وينصح لبعضهم ويلوم آخرين ويبارك الجميع . وما زلنا سائرين والهنود حولنا حتى بلغنا صليباً كبيراً مغروساً في الطريق . فوقف الراهب الشيخ وقال (يا ابنائي . قد انضمّ الينا اليوم أخوان وفضلاً عن هذا أرى ان الزوبعة لم تتلف مزروعاتكم أمس . فعلينا حمد الله لهاتين النعمتين . هلموا تقدم لله الذبيحة المقدسة

.. ثم تناول الراهب الآنية المقدسة من صندوق بجانب الصليب واتشح بوشاح الكهنوت وكان مصنوعاً من الياف شجرات التوت وأعدّ المذبح على صخرة

وجيء بالماء من شلال قريب وقطف عقود غنب ليقوم مقام الخمر وجنا الجميع فابتدأ السر

وكانت السماء قد اشتعلت في جهة المشرق وراى الجبال الشامخة وشرع قرص الشمس في الظهور . فاول شعاع صدر عنها اصاب كأس القربان التي كان الراهب الشيخ يرفعها في يده في الهواء في ذلك الحين . فبالجمال الديانة الساذجة . يا لقداس كاهنه شيخ معتزل مخلص ومذبحه صخرة وكنيسه القفر الواسع وشاهدوه هنود متوحشون سدج . كلا انني لا اشك في ان السر الاعظم قد تم حين جثونا . وان الله نزل حينئذ الى الارض بيننا . ذلك لانني شعرت بنزوله في قلبي

وبعد هذه الصلاة دخلنا القرية فوجدت فيها العيش الطبيعي اخذاً في الاقتران بالعيش الاجتماعي . فرأيت الاحراش في القفار تقطع وتحرق والموكلون بتقسيمها يقسمونها ويوزعونها على الزراع فيجري هؤلاء المحراث فيها فتصبح الغابة المظلمة حقلاً خصيباً باسماء بالزهر ويصير مكن الوحوش الضارية كوخاً آمناً تعيش فيه عيلة مطمئنة راضية ويتنازل العصفور عن عشه للانسان . فجلت بين تلك الحقول وتذكر انا لا يملا نفسي مسرة لانني كنت قد عزمت على ان اصرف عمري معها بين تلك الرياض والغياض . وكنت ارى الهنود يتمدون بعلمهم في الزراعة واصغاثهم الى صوت الديانة فخيّل لي اني ارى لأول مرة حفلة اول قران حدث في بلادنا بين الارض والانسان . فهو يعطيها العهد في هذا القران على ان يخدمها ويسقيها بعرق جبينه وهي تعاهده على ان تغذيه وتغنيه وتحمل على ظهرها وفي بطنها اولاده واجداده (١)

وقد رمت معرفة الطرق التي يحكم بها الراهب الشيخ هذه المملكة الصغيرة فقال لي : لم اسن لهم نظاماً ولم افرض عليهم فروضاً وانما علمتهم هذه الامور الثلاثة ان يحبوا بعضهم بعضاً . ويصلوا الى الله . ويؤمنوا بوجود عالم آخر

(١) « المغرب » هذا الكلام الجميل يذكرنا دعوة الجامعة المهاجرين السوريين في الولايات المتحدة الى الزراعة

أفضل من هذا العالم " فان جميع شرائع البشر موجودة في هذه الامور الثلاثة .
انظر الى وسط القرية ترَ بناءً كبيراً فهذه كنيسةنا تجتمع فيها مساءً وصباحاً الحمد لله .
واذا كنت غائباً قام مقامي اكبر الشيوخ سنّاً لان الشيخوخة كالامومة ضرب من
ضروب الكهنوت . واذا كنت ترى الحقول موزعة على الزراع فما ذلك لان كل
واحد منهم يعمل لنفسه بل ذلك لتعليمهم الجد والاقتصاد وطرق المعيشة . اما مجموع
حاصلاتهم فتخزن في مخازننا العمومية وتوزع على الجميع بحسب حاجاتهم . وهذا
التوزيع منوط باربعة من شيوخهم . هذه احكامنا ومعيشتنا "

وكان الراهب الشيخ يتكلم وانا في دهشة من كلامه وتأثير العيش الطبيعي
الزراعي في اخلاق اولئك الهنود وحالتهم . فان الزراعة (سمرتهم) في الارض
بعد ان كانوا قبائل متنقلة وانتدبتهم من قاتل معيشتهم المتنقلة السابقة وهذبت اخلاقهم
ولطفت اميالهم وبالجملة مدنهم ورقتهم . فيا صديقي رنه انني لا اشكو
من العناية الالهية ولكنني لا استطيع تذكر تلك (الهيئة الانجيلية) التي كانت
عائشة على شاطئ تلك البحيرة دون ان اتألم واتأسف لانني لم اصرف حياتي
بينها . فان اقصى امانى كانت ان اعيش في احد اكواخها مع ائالا مجهولاً
من جميع الارض كتلك الانهر التي تجري في القفار ولا اسم لها

الدين والجهل

✽ الفصل الرابع ✽

امر لم يكن في الحساب

و ثم عدت والشيخ تقصد المغارة لظننا ان ائالا انتهت من الرقاد . وكان املي
في السعادة في تلك القرية مع زوجتي ائالا شديداً ولم اكن ادري ان الشقاء

والألم يرصداني على الباب

١١ قاننا لما بلغنا المغارة لم نجد اتالا امام الباب فعزاني خوف طبيعي لهذا السبب وارتعدت نفسي ونحبس لساني وزاد في اضطرابي ظلام مدخل المغارة فلم اجترأ على الدخول . فدخل الراهب الشيخ وهو في حيرة كحيرتي فاضرم بعض اغصان الصنوبر ورفعها بيده فوق فراش اتالا يبحث عنها وانا واقف وراءه . فرأينا اتالا في فراشها مستندة الى ذراعها ووجهها اصفر كوجوه الموتى والعرق ينضح من جبينها وشفتيها نصفهما مطبق ونصفهما مفتوح كأنما هي تروم الابتسام لي وعيناها جامدتان ولكنهما ما زالتا تتحركان كأنها تروم ان تعرب لي بهما عن صدق حبها

١١ فحبس هذا المنظر لساننا فاقمنا ساكتين هنيهة لحيرتنا ودهشتنا ثم قال الشيخ

١١ اظنها اصببت بحمي وقتية بسبب التعب فلتتكلم على الله يا بني وهو يرأف بنا ويشفيها

١١ وكان الدم قد جمد في عروقي فلما سمعت كلام الشيخ سري عني وعادني الامل فانتقلت من حالة اليأس المطلق الى الامل المطلق في دقيقة واحدة . وهذا الانتقال مألوف لدى الطبائع المتوحشة . وكانت اتالا في ذلك الحين تهز رأسها حزينة وتومئ البنا ان ندنو من فراشها . فدنونا منها فقالت بصوت متهدج

١١ يا ابتاه قد دنوت من الموت . وانت يا حبيبي شككت اسنغر الان الى لا طلمك على السر الذي سألتني عنه غير مرة . ولا تقطع حديثي بكائك او كلامك او يأسك فاني على ابواب الموت واخشى ان تنقطع انفاسي قبل ان اقص عليك كل قصتي لانني أحس بثقل هائل يضغط على صدري

١١ وهنا سكنت اتالا لما نالها من التعب في كلامها ثم قالت

١١ انتي كنت شقية قبل تكوتني وولادتي . فان امي حملت بي والحزن والشقاء يكتنفها ويكتنفني . وقد أتعبت بطنها وأثقلته فتعذبت في وضعي عذاباً شديداً . ولما ولدت قطعت الامل في حياتي فنذرت للملكة الملائكة (١) انها تحفظ لها

(عذرتي) (١) اذا هي حفظت حياتي . وهذا النذر هو الذي يسوقني الآن الى القبر

١١ وحين توفيت امي كان عمري ١٦ سنة فقبيل وفاتها دعيت الى فراشها في حضرة احد المرسلين المسيحيين الذي كان يعزيها ويقويها قبل الموت وقالت لي ١١ يا بنة انك تعلمين النذر الذي نذرته بشأنك فعليك ان لا تكذبتي امك . انني اتركك بين قوم وثنيين يكرهون الهك واله امك وايبك — هذا الاله الذي حفظ حياتك بمعجزة . فهم لا يستأهلون ان تعيش بينهم فتاة مسيحية مثلك (٢) فاختاري (تقاب العذارى) يا بنة وفقاً لنذري وكوني راهبة تستريح من مشاق خدمة الاكواخ وتنجي من الشهوات والاهواء التي عذبت نفس امك . تعالي الآن يا حبيبتي . تعالي واقسمي بصورة (ام المخلص) بين يدي هذا الاب الصالح امام السماء وامك المائنة انك تحفظين نفسك وتقضين عمرك عذراء . ولا تنسي انني عاهدت الله وملكة العذارى على ذلك (٣) فاذا نكحت فيما بعد الوعد الذي تعدينني به الآن وحشت يمينك فان الله يعذب نفس امك بالنار عذاباً ابدياً

١٢ فاستخرطت في البكاء لدى سماعي هذا الكلام من امي وانطرحت بين ذراعيها ووعدتها بكل ما سألتني ان اعدّها به . فدنا مني حينئذ الراهب الذي كان واقفاً يسمعنا والقي عليّ كلاماً هائلاً لم افهمه ثم دفع اليّ علامة تجعلني مرتبطة بعهدي ووعدتي مدى العمر كله . فقبلتني امي وانذرتني بلعنتها وهي في الآخرة اذا نكحت عهدي واوصتني بكتان هذا العهد عن الوثنيين ثم عانقتني وفارقت الحياة

«١» المذرة البكارة

(٢) (المغرب) هذا هو الداء العضال الذي يجعل المندبن بدين ما — يرى الناس حتى قومه واهله الذين خرج منهم وعاش بينهم غرباء عنه لجرد كونهم بدينون بدين غير دينه . وعلى ذلك يمجى الوطن ولا تبقى صلة بين الناس غير صلة الدين . وكل فتك هذا الداء باشرقيين مسلمين ومسيحيين

(٣) مريم العذراء

وفي بدء الامر لم ادرك خطر اليمين التي اقسمتها والعهد الذي اعطيته . فاني عشت فخورة بكوني مسيحية والدم الاسباني يجري في عروقي فلم اكن ارى حولي احداً اهلاً لي . وكان يسرني ان لا يكون لي زوج غير الله الذي انقطعت اليه . ولكني لما لقيتك يا شكتاس ورأيتك فتى في شرح الشباب جميلاً والموت حرقاً بالنار يهدد حياتك اخذتني الشفقة عليك ومنذ هذا الحين اخذت احس بثقل النذر الذي نذرتة والعهد الذي اعطيته

وما انت اتالا على هذا الكلام وسكتت تستريح حتى التفت الى الشيخ الراهب وقبضتاي مطبقتان غيظاً وحنقاً كأنني اهدده وصحت بغضب . هذه هي الديانة التي اطنبت في وصف محاسنها ايها الشيخ . اهذا هو الاله الجائر الذي تدعوننا اليه . سحقا لذلك العهد الذي يسلبني اتالا . وهلاكاً لذلك الاله الذي يحارب الطبيعة . ايها الراهب ماذا جئت تفعل عندنا في هذه الاحراش . هل جئت تعذبنا بمثل هذا

فصاح الراهب الشيخ بصوت هائل . جئت لخاصك ايها المسكين . جئت اسكن اهواءك وشهواتك وامنعك من التجديف على الله . ايها الفتى باي حق تجدف على السماء وتشكو الله وانت لم تدخل الحياة بعد ولم تفعل فيها شيئاً ولم يصبك شيء . اي خدمة خدمت واي نفع نفعت واين فضائلك التي تجيز لك وحدها ان تشكو واين الآلام التي تألمتها واين الظلم الذي اصابك . يا لك من شقي . انك جئتني باهواء وشهوات ثم تجترى على الشكوى من الله والناس

وكانت عينا الشيخ قدحان شرراً في اثنا كلامه وصوته الهائل يدوي في المغارة دويّاً ولحيته الطويلة تهتزازاً شديداً فخل لي وهو ينطق بكلامه الصاعق انه اله لا بشر . فانطرحت على قدميه وسألته الصفح عن غضبي لان حالة اتالا اضاعت صوابي . فاجابني متلفظاً (يا بني انني لم اوثبك من اجل نفسي بل من اجلك ومن اجل الله . فهدئ روعك وانصت لاختك لتتحدثها . ولا تيأس فلكل أمر تدبير

،، فقالت اتالا تكمل حديثها (يا حبيبي شكتاس . لقد شهدت مقاومة لك بعد سفرنا ولكنك لم تشهد الا جانباً منها . ان العبد الاسود المسترق الذي يسقي عرقه رمال فلوريدا المحرقة لم يتعذب عذابي في الايام التي صرفتها معك . فاني كنت ارى امي في الحلم تارة تهددني وتطردني وطوراً تعذب بلهب النار من اجلي . وفي اللحظة كنت اسمع في الهواء صوتاً كصوتها يشكو ويخيل لي انني ارى لهيباً صاعداً من الارض وهو لهيب النار التي تحرقها . يا امامه ان طيفك كان يرافقني في كل خطوة وصوتك يذكرني نذري وعهدي ساعة ساعة . فاصبحت ليلاتي معك يا شكتاس مملوءة بالخيالات ونهاري كان لي عذاباً يقصر عنه كل عذاب . وأي عذاب أشد من ان أراك يجاني المسك وتلمسني بعيداً عن جميع البشر في عزلة مطلقة ومع ذلك أرى بيني وبينك وادياً عميقاً . لقد كان مشتتاً الوحيد في هذه الدنيا ان أعيش تحت قدميك أخدمك كمعدة لك وأعد طعامك وأصلح فراشك في اي كوخ من الاكواخ في اية ارض من اراضي الله . هذه كانت سعادتي الكبرى وهذا كان هنائي وقد كانت هذه السعادة تحت يدي ولكنني لم اكن استطع القبض عليها . وكمن مرة تمليت امامي غريبة . فتارة كنت تمنى ان لا يبقى في الارض بشر غيري وغيرك لنعيش فيها وحدنا . وطوراً — حين كنت ارى يداً الهية تقبض علي وتصدم ثورات نفسي الهائلة المتجهة نحوك كنت تمنى ان تهدم الالهية والعالم كله ونهبط معاً متعاقبين متصلين بين بقايا الله وانقاض العالم من هاوية الى هاوية حتى فناً الجميع فناً ابدياً . والآن وانا في فراش الموت على اهبة الوقوف لدى القاضي الاعظم بعد ان جعلت عذرتي تغترس حياتي ارضاً لامي — انني احس بأسف لانني لم اهبك نفسي . . .

،، فهنا صاح الشيخ الراهب (لالا يابنية لا تقولي هذا . ان الملك يضلك وعلما تضمنت الالهوا النائرة الى هذا الحد شيئاً من العدل والحق . بل هي ضد الطبيعة ايضاً لانها ليست في الطبيعة . ومن أجل هذا يعد ذنبها خفيفاً لدى الله لانها تنشا عن فساد حكم العقل لا عن فساد في القلب . فسكني نفسك

يا بنية واعلمي ان الامر ليس كما تظنين . فان الديانة الحقيقية لا تقتضي ضحايا فوق طاقة البشر . وعماليمها الصحيحة وعواطفها الحقيقية هي فوق تلك التعاليم والمواطف التي 'يراد منها جعل صاحبها بطالاً . فانك لو كنت سقطت يابنية في اثناء مقاوماتك فان الراعي الصالح لا ينبذك نبذاً قطعياً بل يطلبك ويعيدك الى حظيرة الخراف . وكثر التوبة كان مفتوحاً امامك . ان البشر لا يصفحون عن ذنب يا بنية الا اذا سالت في سبيله سيول من الدماء اما الله فيصفح عن الذنب بدمعة واحدة صادقة . ثم لا تيأسي يا بنية بل سكني روعك واتجهي الى الله فان حالتك تقتضي الهدوء والسكينة . قات لك ان الديانة لا تقتضي ضحايا فوق طاقة البشر واقول لك الآن انني استطعت تدبير الامر الذي وقعت فيه . واظن من السهل حلك من نذرك فاطمئني . ان نذرك هذا (بسيط) وفي يد اسقف (كوبك) ساطعة لحاه فساكتب اليه غداً التمس منه هذا الحل فيحلك منه وتقتربين بشكتاس وتعيشين معه براحة وسلام بين رعييتي

١١ فلما سمعت اتالا هذا الكلام صاحت صيحة هائلة واصابتها نوبة عصبية شديدة . ولما فارقتها النوبة صاحت وقد ضمت يديها (أ كان لي دواء ولم ادر ؟ أ كان في الامكان حلّي من نذري) فاجاب الشيخ (نعم يا بنية لذلك طريقة سهلة فافرحي واطمئني) فصاحت اتالا (ولكن قات وقتها قات وقتها . يارباه انني اموت حين علمت انه كان في امكاني ان اكون سعيدة . فلماذا لم اعرف هذا الشيخ الصالح قبل الآن . آه لو عرفته من قبل لعشت مع شكتاس هنا عيش وعزيتة وعلمته دين المسيح) فدنوت حينئذ من اتالا واخذت يدها وقلت (هدي روعك يا اتالا فاننا سنذوق هذا الهناء) فاجابت (كلا كلا) فقلت (ولماذا) فصاحت تلك المسكينة :

— لم اقص كل شيء بعد . أمس . . . في اثناء الزوبعة . . . في الغابة . . . كدت انقض عهدي وانسى نذري . . . وكنت على وشك القاء امي في النار وجلب لعنتها علي . . . والكذب على الله الذي اتقد حياتي في طفولتي بمعجزة . . .

فلجأتُ الى الحيلة الاخيرة فراراً من تعذيب امي بالنار والكذب على الله . . .
ياشكتاس انك حين كنت أمس تقبل شفتي المرتجفتين في الغابة كنت تجهل
انك تقبل شفتي الموت . . .

،، فصاح الراهب (ياالله ماذا فعلت يا بنية)

،، فصاحت اتالا يأس وعيناها تكادان تخرجان من وجهها (جنانية يا أبتاه .

ولكنني لم أهلك احداً غيري واتقذتُ امي)

،، فصحتُ وصدري يكاد ينشق خوفاً (كلي حديثك كلي فاننا لم نفهم بعد)

،، فابتسمتُ اتالا ابتسامة الموت وقالت (ستفهم يا حبيبي شكتاس . انني

حين فررتُ معك توقعتُ ضعفي وعجزني عن المقاومة . . . فقبل تركي قبيلتي

اخذتُ في جبتي . . .) فصاح الراهب خائفاً ،، أسماً اخذتِ ؟ ،، فصاحت

اتالا ،، وهو الآن في جوفي .

،، فسقط المصباح من يد الشيخ الراهب وصحتُ انا صيحةً دوت لها

المغارة وانطرحتُ على الارض مغنى عليّ بجانب حبيتي . فامسكنا الشيخ بيديه

واخذ بيكي لبكائنا فكانت دموعنا نحن الثلاثة تجري معاً وتخرج في ظلام

المغارة على فراش التزع والموت . ثم ان الشيخ تغلب على نفسه فنهض الى النار

فاضرمها وقال ،، فلننتبه من هذا الذهول يا ولدي ولنشق برحمة الله . ولنبحثُ

بخشوع نسأله الرأفة . سامحك الله يا بنية لماذا لم تخبريني أمس هذا الخبر ،،

فقلت اتالا انني نهضتُ في ليل أمس يا أبتاه وطلبتك لآخبرك خبر ابتلاعي ذلك

السم في الغابة ولكنني ما وجدتُك . فكان السماء شأت معاقبتي على فعلي .

ثم هب اني وجدتُك يا أبتاه فانك عاجز عن ان تقاوم هذا السم الزعاف لان الهنود

وهم الذين يصطنعونه لا يعرفون له دواء . ويا حبيبي شكتاس تصور مبلغ دهشتي

بعد تناولي هذا السم في الغابة حين رأيتُ انه لم يفعل فيّ حينئذ مع معرفتي انه

سريع الفعل . فان حيي لك تضاعف حين رأيت ان نفسي تأبى مفارقتك بسرعة

،، فتصور يا صديقي رنه مبلغ عذابي وشقائي حين كنتُ اسمع هذا الكلام من

اتالا . فاني كنتُ كمن مسته جنة فانطرحتُ اتمرّغ على الارض وأصبح
والطم وجهي واكاد اخنق نفسي . فكان الشيخ يتراوح بيني وبين اتالا لتسكين
آلامنا بكلامه العذب وحكمته الرائعة ولكنه لم يؤثر علينا لشدة بأسنا . وقد
حاول مداواة اتالا ومقاومة السمّ الذي سرى في دمها فذهب سعيه سدى .
فان التعب والحزن والسمّ وهوى اتالا المميت الذي كان أفعل من السمّ — كلها كانت
قد تحالفت على تلك الفتاة المسكينة وصرعتها . ففي المساء بدت في جسمها
اعراض التسمّ فتورمت اعضاؤها وبردت اطرافها . فأخذت تقول لي (مسّ
اصابي يا شكتاس الا تراها بردتُ . بالامس يا حبيبي كنت اذا لمستهما
ترتعد نفسي ارتعاداً اما الآن فلا اشعر بلمسك لهما . وانني أكاد لا اسمع صوتك
ولا أرى الاشياء التي في المغارة . اسمع . أليس هذا صوت العصافير تغرّد
على الاشجار . اظن ان الشمس مائلة الى المغيب . شكتاس شكتاس ما
أجل أشعثها غداً على قبوري

١١ انني اموتُ شريدة طريدة بعيدة عن قومي ووطني . ولكن يا شكتاس
انت قومي ووطني وأهلي وكل مالي . عش يا حبيبي سعيداً بدي ولا تنس
حييتك اتالا التي يحق لها ان تدعو نفسها اختك ايضاً لانه لم يكن بينك
وبينها الا ما يكون بين الاخ والاخت . آه يارباه انني اموت في زهرة
الشباب وقلبي مغمم بالحياة

١١ ثم ان اتالا رأت ان كلامها هذا يجري دموعنا ويدي قلبينا فقالت
١١ عفواً عفواً يا صديقي عن ضعفي هذا . انني امسيت في منتهى الضعف
ولعاني اقوي نفسي . يا رجل الله ارحمني وقوّني وساعدني . الا ترى ان امي
يسرّها فعلي وان الله يغفر لي

١١ فاجابها الراهب الشيخ باكياً وهو يمسح دموعه يديه المرتجفتين واصابعه

المقطوعة

— يا ابنتي ان جميع مصابك ناشيء عن جهلك ونقص في تربيتك

وتعليمك . فتعزي فإن الله سيفرلك بسبب سذاجة قلبك . على ان امك
وذلك المرسل الراهب الذي لم يكن حكيمًا هما اكبر ذنبًا منك . فقد جاوزا حدود
وظيفتهما بما فعلاه من استدراجك الى نذروعه لا تعلمين مبلغ اهميتهما ولا
تدركين هل في امكانك القيام بهما . فقد أخطأ خطأ عظيمًا بربطك وتركك
ولكن فليرحمهما الله وليرد نفسيهما . ولقد كنتم انتم الثلاثة (انت وامك وذلك
المرسل الراهب) خير مثال لذلك التحمس الديني الذي كله خطر اذا لم يكن
مقرونًا بالحكمة والسداد وحسن التدبير

،، واذا كان الله يا بنية قد قضى الآن بأن تتركي هذه الحياة فصدقيني انك
لا تتركين شيئًا يستأهل الاسف . فلما الحياة كلها تعب وعذاب وشقاء ومصائب (١)
انك نشأت في القفار بعيدة عن الهيئة الاجتماعية ومع ذلك فقد ذقت ما ذقته
من مصائب الحياة فكيف بك لو حططت رحالك في شاطئ اوروبا القديم (٢)
وسمعت الصراخ الوارد من جهة المدن — صراخ اليأس والعذاب والتعب والفقر
والجهل والفساد والمصائب البشرية بتمامها . كل حي يتعذب في هذه الدنيا حتى
اعظم الناس . فكثيراً ما شوهدت الملكات يكن كعامة النساء وكثيراً ما دهش
الناس لغزارة الدموع التي جرت من ماقي الملوك (٣)

،، وعلى اي شيء تأسفين يا بنية حين خروجك من هذا العالم ؟ اعلى
ذهاب حبك سدى ؟ يا ابنتي ان الحب حلم ذاهب وبرق خلّاب . فان القلب
البشري سريع التغير ولا شيء في الارض يدوم . ان حواء خلقت خاصة لآدم

(١) (المعرب) ان الفيلسوف نيتش يقول ان هذه الافكار دليل على مرض
صاحبها . على انها مرض وضعف لدى الاصحاء لانها تنفي مهمهم وعزائمهم في جهاد الحياة
ولكن لا بأس بها على فراش الموتى لانها تعزية مفيدة .

(٢) «المعرب» لم يقل (وشاطئ امريكا) لانها لم تكن قد تمدنت

(٣) (المعرب) ربما كان في هذا الكلام اشارة الى دموع الملكة ماري انتوانت

وزوجها لويس السادس عشر اللذين نثلا في الثورة الفرنسية

وقد براها الباري^١ موافقة له من كل وجه وغرس لها فردوساً مخصوصاً وجعلها فيه خالدين طاهرين ومع ذلك فلم يقدر على الثبات في نعيمها هذا . فاي رجل وامرأة مقترنين بعدهما يمكن ان يدوم لهما نعيم . اذا تأسفت على الحب ألا تذكرين تعب الاكواخ وعذاب الفقر وشقاء تنافر الاخلاق وعناء شرود القلب بين الزوجين . فانه مما هو مغروس في الطبيعة البشرية انها لا تستطيع البقاء منجذبة الى شيء واحد مدى العمر انجذاباً مطلقاً . ونفس الرجل يتعبها البقاء على حب شخص واحد حباً مطلقاً دائماً . فكيف تكون حالة الزوجين حينئذ ؟ صدقني يا بنية ان هذا الذي يسميه الفتيان والفتيات (حباً وغراماً) ليس الا وهماً وخيالاً وحديث خرافة واباطيل يحكمها التصور . انظري يا بنية انني شيخ طاعن في السن ولكنني يا بنية اعترف لك الآن كما اعترف لله ان نفسي قد اضطربت ايضاً في حياتي . ورأسي لم يكن اصلع فيما مضى كما هو الآن وهذا الصدر لم يكن فيما مضى هادئاً ساكناً مستريحاً كما هو الآن . فتقي بخبرتي يا بنية واحدي العناية الالهية التي تنتشلك بسرعة من وادي المصائب والهموم . وكانني أرى منذ الآن لباس العذارى الالبيض وأكاليل الزاهرة تعد لك في السماء ويهبط بها الى الغيوم لاستقبالك . كانني اسمع ملكة العذارى والملائكة تناديك ، ، تعالي يا خادمتنا الشريفة واختنا الحبيبة . تعالي يا حمامة بلا دنس واجلسي معنا في ربوع السعادة الابدية

، ، وهنا سكنت الشيخ . فكما تهدأ الريح لدى بزوغ نور النهار وتخم السكينة والهدوء في الفضاء هكذا سكن كلام الشيخ نفس حبيبي وهذا روعها . فامسى هما في تهدئة روعي وتصبري على فقدتها لا في ندب صباها والتأسف على حياتها وحبها . فكانت تارة تقول لي انها تموت سعيدة اذا مسحت دموعي وتركت البكاء . وطوراً كانت تحدثني عن وطني وامي واهلي صرفاً لفكري عن الي الحاضر الى الغابر تخفيفاً له . وآونة كانت تقويني بقولها ان قلب الانسان يشبه تلك الاشجار التي لا يخرج منها عصيرها النافع في الامراض الا اذا شقت

بسكين . والقلب البشري لا يطيب ويجود اثره لدى الناس الا اذا هذبته مصائب الحياة وآلامها . وحين كانت تفرغ من كلامها هذا كانت تلتفت الى الشيخ الراهب لترى في وجهه أثر كلامها وتستمد منه من القوة والتشجيع ما كانت تجود عليّ به . وكان الشيخ الراهب قد تحمس لرؤيته اثر كلامه في نفس اتالا وحركت الشفقة عظامه البالية فبث فيها القوة فضاعف سعيه وهمة في تدبير الادوية وإضرام النار وتبريد الفراش بينما كان في اثناء ذلك يحدث المائتة المسكينة عن الله وسعادة الصالحين في الآخرة . وكان وهو يجول في المغارة وفي يده المصباح شبيهاً بملك يتقدم اتالا الى القبر وينبر طريقها . وكانت المغارة مفعمة من عظمة هذه الوفاة وسذاجتها . ولا ريب في ان الارواح السماوية كانت ترقب من بعيد خاتمة هذا المشهد الذي كان فيه الدين وهو واحد يحارب ثلاثة وهي الحب والشباب والموت . وقد انتهى النزاع بانتصار فضيلة الدين فخلّ في نفوسنا حزن هادئ محلّ اليأس الذي استحكم لدينا من قبل

، وفي منتصف الليل ظهر ان اتالا تنهت وقويت فصارت تردد صلاة الراهب . وبعد حين مدت اليّ كفها وقالت لي ، يا ابن اوتاليسي أتذكر الليلة الاولى التي جثتك فيها وانت اسير لخدمتي (عذراء الحب الاخيرة) لله ما أعجب هذا الاتفاق “ ثم سكنت . وبعد بضع ثوانٍ قالت ، انني حين افكر في انني سأفارقك فراقاً لا لقاءً هنا بعده أجمع نفسي واضغط عليها فيخيل لي انني دست الموت واصبحت خالدة لفرط حيي لك . ولكن يا رباه فلتكن ارادتك “ ثم سكنت وبعد حين قالت ، لم يبق لي الآن الا ان اسألك الصفح عن تعذيبي لك وإتعابك بكبريائي وتقلبات اميالي . ولكن يا شكتاس ان قليلاً من التراب سينهال عليّ فيجعل بيني وبينك عوالم شامعة وينقذك من ثقل مصائبي “ فاجبتها وانا اغص بدمعي ، كان عليّ انا ان اسألك الصفح يا حبيبي لانني كنت السبب في شقائك “ فقالت ، كلا كلا فاني كنت سعيدة في الايام التي صرفتها معك

١١ وهنا خفت صوت اتالا وانتشرت اشباح الموت حول عينيها وفيها فجعلت تخاطب الارواح غير المنظورة واخذت يدها تلمس وتضطرب كأنها تفتش عن شيء لا تجده . ثم جمعت قواها وقبضت يدها على صليب كان معلقاً في عنقها وسألتني حل عقدة ثم قالت

— اني لما زرتك لأول مرة رأيت على لهيب النار هذا الصليب يسطم في صدي . وهو الآن كل ما تملكه حبيبتيك اتالا وقد اهداه الى امي لوبيز ابوك وابي وذلك بعد ولادتي ببضعة ايام . فاقبل مني الآن يا اخي هذا الارث الثمين وصنه عندك . تذكراً لمصائبي . اسمع يا صديقي . اننا لو اقترنا في هذه الحياة لكان قراننا قصيراً خيراً لنا ان نقترب في العالم الباقي . اننا لا نفترق يا شكتاس افتراقاً ابدياً بل سنجتمع هناك وانا الآن اتقدمك وانتظر في مملكة السماء . فإذا كنت تحبني يا شكتاس فادخل في الدين المسيحي وتعلم مبادئه تسهيلاً لاقتراننا هناك وانك لترى بعينيك ان هذا الدين يفعل المعجزات لانه يجعلني افارقك بهدوء وسكينة دون ان اموت حزناً وبأساً . على اني لا اسألك يا شكتاس الا وعداً مجرداً فقط ولا اوجب عليك البمين فاتي علمت خطرها وضررها فربما حالت هذه اليمين بينك وبين نساء سيكن أسعد مني يا امام ارضني عني ويا عذراً لا تسخطني علي ويا الهي اغفر لي لانني اصرف الآن افكاري عنك وهي من الواجب ان تكون لك وحدك في هذه الساعة .

١٢ فاذرفت دموعاً سخينة وتخفيفاً لآلم اتالا وعدتها ان اعتنق الديانة المسيحية يوماً ما

١١ فهنا نهض الراهب وقال بصوته الجهوري وقد مد يديه الى سقف المغارة (يا ولدي قد آن ان ندعو الله يننا)

١٢ فما فاه بهذا الكلام حتى شعرنا بقوة خارقة دفعتنا فجثونا على الارض . اما الراهب ففتح مكاناً سرياً في سقف المغارة فظهرت فيه كأس من ذهب مغطاة بغطاء من حرير وجثا يصلي . فلما ظهرت الكأس خيل لنا ان المغارة قد

أنبرت بفتة . ولما تناولها بيديه وتقدم بها نحو اتالا وهو يرتجف خبل لي انني اسمع الملائكة تنشد في اعالي الشجر خارجاً وأنتي أرى روح الله هابطة من قمة الجبل . . . قد الراهب اصبعه الى الكأس وتناول بهما قربانة بيضاء كالثلج وادناها من اتالا وهو يقول اقوالاً لم افهمها . وكانت اتالا قد فهمت مراد الراهب فسكنت جميع آلامها وظهرت الحماسة في عينيها وفتحت فاهها بقوة كأنها تجمع جميع قوى نفسها في شفتيها . ولما دنت من الراهب مدت فاهها وتناولات به القربانة . ثم ان الراهب تناول قليلاً من القطن فغمسه في الزيت المقدس ودهن به صدغي اتالا واخذ ينظر اليها . وبفتة صرخ بصوت جهوري قائلاً . . . ايتها النفس انطلقى الى خالقك بسلام .

. . . فدهشت ونظرت الى الراهب وانا الزيت وقلت له . . . ما هذا يا ابتاه .
أهو دواء يرد الحياة الى اتالا . . .
. . . فانطرح الراهب الشيخ بين ذراعي وقال باكياً . . . نعم يا بني انه يردها الى الحياة الابدية . . .

. . . فالتفت الى اتالا فرأيتها قد اسلمت روحها وباتت جثة هامدة
وهنا سكت شكتاس ليمسح دموعه التي كانت تجري ثم قال . . . يا ربه
لقد مرت على هذه الحادثة الاليمة سنوات عديدة وصرت الآن شيخاً هرمًا
ومع ذلك لا امتلك من اذراف دمع الاسف والاسي كما تذكرتها . . . ثم أخرج
من جيبه شيئاً وقال باكياً . . . انظر الآن يا صديقي ذلك الاثر الذي وهبته
اتالا وهي على فراش الموت . هذا صليها أحفظه كما أحفظ نفسي . ولكني
وأسفاه أصبحت عاجزاً عن مشاهدته لفقدي البصر اما انت قراه وهنيئاً لك .
مسه واخبرني هل تغير ذهبه واكد ؟ هل ترى عليه أثراً لدموعي ونار قلبي ؟
هل ترى فيه الموضع الذي كانت تمسكه يدها المقدسة

. . . ثم انني اكفيك عنا تمة قصتي . فلا اذكر لك اليأس الذي وقعت
فيه مدة يومين كاملين حين رأيت حبيبتى امامي جثة هامدة دون ان اصغي الى

تعزية الراهب الشيخ ونصائحہ او ابالي بدموعه التي كان يمزجها بدموعي . ولا اذكر لك كيف زينت حبيبي بالازهار وحملتها على ظهري لدفنها تحت الجسر في الوادي مع مساعدة الراهب الشيخ لي . ولا كيف عدت الي بلادي والياس مستول علي وصورة انا امامي تنقص عيشي العمر كله

❖ الفصل الخامس ❖

الحاتمة

قص شكتاس بن اوتاليسي هذه القصة على رنه الاوروبي وهما سائران في الحملة لصيد كلب الماء . والآباء قصوها على الابناء بعدها . وقد سمعتها انا من بعض الهنود في اثناء سياحتي في بلادهم فرويتها بحرفها .
وقد رمت الوقوف على ما وقع بعد ذلك لشكتاس ورنه والراهب الشيخ وقريته . فسألت الهنود والحمت في السؤال فلم انظر منهم بجواب يشقي الغليل . ولكنني في ذات يوم وانا اتزه على شاطئ شلال نياغرا وجدت اما هندية مسكينة تعرض طفلها ميتا على اغصان الاشجار وتندبه . فدفنت منها واعتنتها على طرد الذباب بالاغصان عن رمة وحيدتها . فتأثرت بفملي وشكرتني . فاغتيمت هذه الفرصة وسألتها هل سمعت يا اختي بشكتاس ورنه والراهب او بزه . فذهشت وسألتني كيف عرفت باخبارهم . فاجبت اني قد سمعتها من الهنود واحب الوقوف على تمتها . فقالت انني اقص عليك تمة اخبارهم لانك رحمت ابني واعتنتي على طرد الذباب عنه . ثم قالت

— اني ابنة ابنة رنه الاوروبي (١) الذي تبناه شكتاس . ونحن بقايا قبيلة (نتشز) التي حمل الفرنسيون عليها وذبحوها انتقاما لابناء بلادهم . وقد قتلوا شكتاس ورنه في هذه الحملة . اما الذين نجوا منا فقد لجأوا الى قبيلة شيكتاس جيراننا ولكننا لم نقم في بلادهم سبعة اعمار (٢) حتى طردنا منها بحجة ان

ملكاً في اوروبا قد وهب اراضيها للبيض المقيمين في فرجينيا . ولذلك خرجنا نتيه في الارض ولا وطن لنا وعظام اجدادنا محمولة معنا على دوابنا . وقد ادركني المخاض في الطريق فولدت طفلاً ولما كان لبني رديئاً لمشقة السفر مات طفلي وانا الان ابكيه .

فشاركت هذه المرأة الشقية في حزنها وسألتها ، وماذا وقع يا اختي للراهب الشيخ الاب او بره ، فاجابت ، انه لم يكن اسعد حظاً من شكتاس ورنه الاوروبي . فان قبيلة شيويكواه التي هي اعدى اعداء الفرنسيين هجمت على قريته ومغارته التي اكتشفوها من قرعه الجرس في اثناء الزوابع دعوة المسافرين التائبين فقتلوا رعيته واحرقوا قريته واتلفوا مزرعاتها . وكان في امكان الشيخ ان ينجو بنفسه ولكنه آثر الموت مع رعيته على النجاة وحده فعذبته قبيلة شيريكواه اشد تعذيب ثم قتله حرقاً بالذار

فسألت الهندية ، وهل علمت شيئاً عن قبر اتالا صديقة شكتاس وهل يمكن العثور عليه الان ؟

فقلت ، ان شكتاس بعد عودته من ارض البيض في اوروبا وذلك قبل مقتله سمع بمصاب الشيخ الراهب فقصد الى قريته فوجدها قفراً تأوي اليها الوحوش بعد ان كانت جنة زاهرة . ولم يجد من آثار الراهب في المغارة غير الافعى لاهلية فأخذها ودفأها ووضعها في جيبه . ثم نبش قبر اتالا حبيته فوجد فيه هيكل عظام رجل وامرأة فعلم ان عظام الرجل هي عظام الشيخ وعظام المرأة هي عظام اتالا فحملها ونقلها الى بلاده . ولما رحلنا عن بلادنا حملنا هذه العظام معنا في جملة عظام موتانا وفيها عظام شكتاس نفسه . ويمكنك ان تشاهدها الان اذا شئت

فناقت نفسي الى مشاهدة تلك الآثار البالية فنهضت الى حي الهندية ودنوت من تلك العظام المقدسة وجثوت لديها بخشوع ساكتاً . ثم نهضت وانا اقول في نفسي ، هكذا يمر في الارض مرأ سريماً كل ما هو جميل وفاضل وطيب

وحساس . فكانه كُتب الشفاء للفضل بين الناس " .
 فيا ايها الهنود الاشقياء الذين رأيتم يتيهون في قفار العالم الجديد يحملون
 عظام اجدادهم . يا من اصفتموني مع ققرم وانستم بي مع وحشتكم . عذراً وصفحاً
 لمعجزتي عن مبادلتكم هذه الضيافة لاني الان مثلكم آتية في الارض هدفاً لعدوان
 البشر . ولكنني اشقى حظاً منكم لاني لم اتمكن من حمل عظام آبائي واجدادني (١)

لمقت أتالا

الصيادون والزراعون — وقمت في الرواية عدة اغلاط مطبعية تركناها الى
 ذكاء القارئ . منها في الصفحة ٢٨ في عنوان الفصل الثالث (كلمة (الزراعة)
 والصواب (الزراعون) مناسبة للفصل الثاني الذي تقدمه وعنوانه (الصيادون)
 وهما اول اصناف الشعوب في بدء نشأتها

(١) « المرعب » قال المؤلف هذا القول لان اخاه وزوجة اخيه واباه 'قتلوا في
 الثورة الفرنسية وانه توفيت بعد خروجها من السجن للمذاب الذي وجدته فيه على قوله
 وباقي امره تشتت شملها وكان نصيبه هو الفرار الى اميركا . وكان في صحبته صديق حميم
 له فاقاما ناهيين في قفار فلوريده خمسة ايام دون طعام فانفجر صديقه لهذا السبب بين
 يديه